455

HARLEQUIN

روايات أحلام

أتحداك

كاثي ويليامز

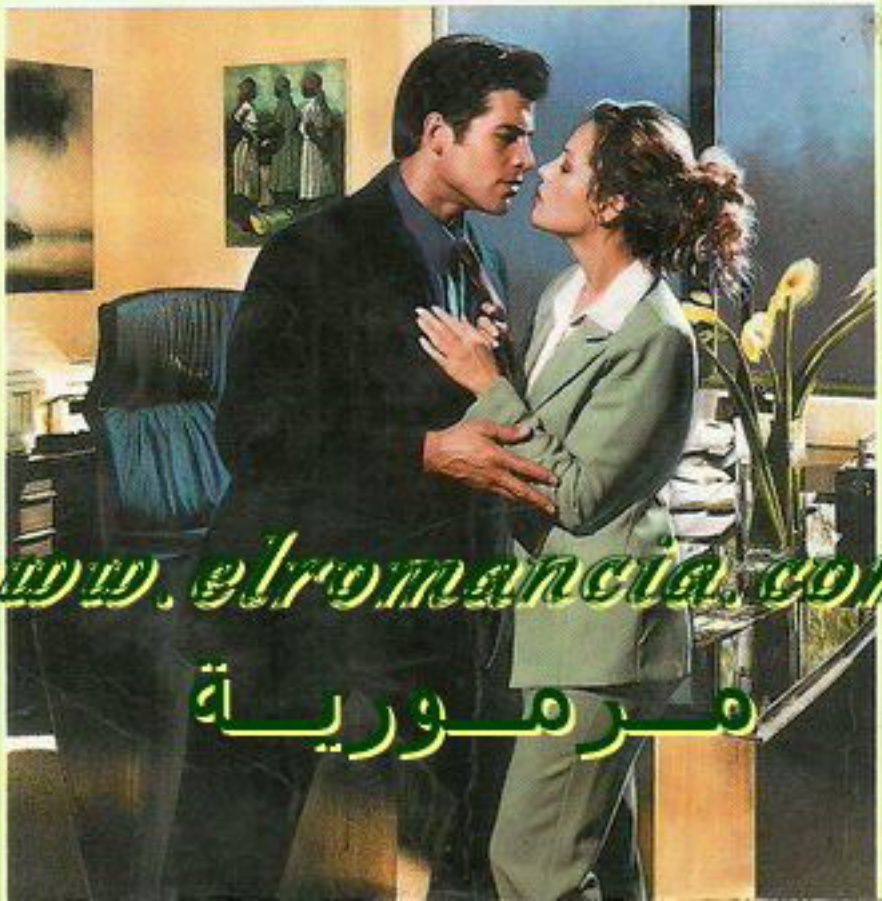

www.elromancia.com
مرمورية

أتحداك

كان روكو لوسي ملكاً من ملوك المال و صاحب شهرة أسطورية لأنه الأفضل في مجال عمله . و أكد روكو سمعته كشخص متعجرف و متسلط عندما استلم زمام الأمور في شركة لوسي للبناء . بطرده آمي هوغان . حين قرر أن وجودها في الشركة غير مجد و أن عليها الرحيل .

افتراض روكو أن آمي سترحل من دون أي مواجهة قابله تحد صارخ من قبل آمي . لكن روكو ليس من النوع الذي يتراجع في قراراته ، إنه لا يريد آمي كموظفة لديه . تستطيع البقاء لديه فقط .. كحبيبة !

www.elrayan.com

لبنان،	3000ل.ل	البحرين،	1دينار
سوريا،	100ل.س.	السعودية،	10ريال
الأردن،	1.5دينار	مصر،	8جنيه
الكويت،	750فلس	المغرب،	15درهم
الإمارات،	10دراهم	تونس،	2.50دينار
قطر،	10ريال	عمان،	1ريال

ISBN 978-9953-15-466-4

روايات أحلام

تصدر عن شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م
المدير المسؤول: آمال سابا الهاشم

حقوق النشر والطباعة والتوزيع باللغة العربية
محفوظة لشركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.
بترخيص خطي من Harlequin Books S.A

كل الحقوق محفوظة، بما فيها نسخ الكتاب بكامله أو جزء منه بأي شكل من الأشكال
تم نشر هذه الطبعة بالاتفاق مع شركة Harlequin Books S.A

العلامة التجارية Harlequin وشعار Joey هما ملك شركة Harlequin Books S.A
وهما مستعملان هنا بترخيص منها

كل شخصيات هذه الرواية وهمية. أي شبه بين هذه الشخصيات وأشخاص حقيقيين أحياء كانوا أم أمواتاً هو محض صدفة

العنوان الأصلي لهذه الرواية باللغة الإنكليزية:
The italian tycoon's mistress
First published in Great Britain 2004
Harlequin Mills & Boon Limited
© cathy williams 2004
Translation © Dar El-Farasha - 2009
ISBN 978 - 9953 - 15 - 466 - 4

شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م. طريق المطار - سنتر زعرور -
ص.ب: 8254/ 11 هاتف/ فاكس: 450950-1-961- بيروت - لبنان
Email: info@darelfarasha.com - http:www.darelfarasha.com

أعزائي القراء

لأننا عوّدناكم دائماً على أجمل الروايات العاطفية... ولأننا نعرف أن قراءنا لا يرضون بأقل من الأفضل... ولأن هدفنا دوماً المحافظة على واحة حب تخفّف من وطأة الآلام والهموم في عالمنا... لهذا، اخترنا أن تكون هديتنا إلى قرائنا هي انضمامنا إلى أسرة هارلكوين Harlequin العالمية.

لماذا هذا الاختيار؟

لأن شركة Harlequin هي رائدة الروايات الرومنسية في العالم أجمع، وهي تتعاون مع أفضل الروائيات في هذا المجال، وتصدر شهرياً أكثر من ٧٠ عنواناً جديداً.

ستظل روايات أحلام على سابق عهدها من حيث اختيار القصة الشيّقة والأسلوب الرفيع واللغة السليمة... والتغيير الذي ستلاحظونه هو في زيادة عدد الروايات شهرياً، وتنوع الموضوعات لتناسب جميع الأذواق، وسيكون لمشاركتكم باختيار المواضيع المفضلة لديكم وبأسماء الروائيات اللاتي أحببتموهن، الدور الأساسي.

بكل إخلاص
أسرة أحلام

كاثي ويليامز

ولدت «كاثي» في جزيرة «ترينيداد» وترعرعت في «توباغو». نالت منحة دراسية فسافرت إلى بريطانيا. في جامعة «إيكسيتر» أكملت دراسة المادة التي لطالما عشقتها وهي اللغات والأدب. وفي «انكلترا» التقت زوجها «ريتشرد»، وهما يعيشان الآن في بريطانيا مع بناتهما الثلاث. أقاما بداية في «وادي التيمز» وبعدها في «ميدلاندز».

١ - من أنت؟

- ما هذا؟

هذا ليس مجرد سؤال، بل طلب يستوجب تفسيراً سريعاً.

تميز اليومان الماضيان بمثل هذه الطلبات المقنّعة بالأسئلة المهذبة، وذلك بعد أن انقض روكو لوسي على شركة لوسي للبناء مثل نمر يهاجم مجموعة من الضحايا الضعيفة راغباً في القضاء عليها. نظر ريتشارد نيوتن بقلق إلى حيث أشار روكو بإصبع أسمر طويل وتنهد. قال مفسراً: «هذه إحدى المساعدات المالية».

مال إلى الأمام ليحدق في الورقة، ثم تراجع إلى الوراء في كرسيه وهو يشعر بالشؤم.

- إحدى المساعدات المالية؟ وأين الوثائق العائدة إلى هذا النوع من الأعمال؟

دفع روكو كرسيه إلى الوراء وتأمل ببرودة الرجل الذي بدا كأنه أصيب بحالة من الاهتياج العصبي. من الغرابة أن شركة والده تحقق أرباحاً مع أن العدد الأكبر من المسؤولين الإداريين هم من الطراز القديم، وفي أعمار تقارب سنوات التقاعد. ها هو ريتشارد نيوتن مدير المحاسبة يتصبب عرقاً أمامه، ومع أنه أحد العناصر الأكثر شباباً في الإدارة، بالكاد يستطيع روكو أن يقول عنه إنه من المستوى المطلوب. في الحقيقة، ما كان الرجل ليصمد أكثر من خمس ثوان في شركته الضخمة في نيويورك حيث يتم إقصاء الكبار في السن وذوي الكفاءة المحدودة ليتركوا إلى مصيرهم المحتم، وهذا ما سيفعله هنا في وقت قريب جداً. لكن الضغط الناتج عن طريقة العيش

www.elromancia.com

السريعة في نيويورك هو أكثر شراسة من الحياة هنا في بلاد شكسبير.

وضع روكو يديه على سطح مكتب والده ولفظ كلماته التالية بحزم وقسوة واضحين: «اصغ إلى ما سأقوله جيداً، سيد نيوتن. أنا أجبرت على ترك مكاتبي في نيويورك بسبب الأحداث التي لم تترك لي أي خيار. لكنني هنا الآن ولا أرغب في أن أتصرف بلا مبالاة، فأربت على ظهرك وأتركك تعمل بطريقتك المشوشة التي يبدو أنك لا تعرف غيرها. لم أتوقع أن أضطر إلى طرح أي سؤال لأنني توقعت أن أجد كل المعلومات التي أطلبها عن شركة والدي مدونة أمامي وعلى هذا المكتب، بانتظار أن أطلع عليها. هل أوضحت ما أريده بالتحديد؟»

راقب روكو لوسي الرجل الجالس أمامه وهو يهز رأسه بضعف، ولم يخالجه أي إحساس بالتعاطف معه، فهو ليس هنا ليحصل على شعبية ما أو ليجد أصدقاء له. إنه هنا بصورة مؤقتة ليستلم المهام في شركة والده، فيعيد إليها الثقة والقوة. وعندما يحين الوقت سيتمكن من مغادرة هذا المكان والعودة إلى المدينة التي باتت مقره منذ أكثر من عشر سنوات. كما أنه غير مستعد للقبول بأي عمل سطحي، فهذا ليس أسلوبه. أتى إلى هنا بالرغم من إرادته، وهو راغب في إزالة أي عائق ليتأكد من جعل شركة لوسي للبناء في أعلى مستوى ممكن.

تم البحث عن الملف ووضع أمامه. ومن دون أن يزعج نفسه بالنظر إليه، أخبر روكو ريتشارد نيوتن أنه سيبقى مكانه بالتحديد حتى يجيب عن كل الأسئلة التي سيطرحها عليه. تمهل وهو يقرأ الملف، وبالكاد رفع نظره إلى الرجل الذي ينتظره بصبر حتى ينتهي. بعد ذلك تراجع إلى الوراء على كرسيه ونظر إلى ريتشارد نيوتن بصمت لعدة دقائق.

- اشرح لي كيف تتلاءم هذه المساعدة المالية بالتحديد مع الربح العام للشركة.

- آه! أجل. حسناً... ! يحقق والدك أرباحاً وافرة من شركته، فهي واحدة من أهم مؤسسات البناء في المنطقة، كما تعلم. ومع ازدهار بناء

المنازل عبر السنين، فليس هناك حدود للعمل. وكما ترى من الأوراق أمامك، الأمور جيدة وتسير على أتم ما يرام. وإن أردت الحقيقة إنها أكثر من جيدة.

لاحظ روكو التملص الواضح من الإجابة عن سؤاله بعينين حادتين. كما أنه لم يشجع الرجل بالتلفظ بأي كلمة. بدلاً من ذلك، نظر إلى ساعته، ثم أعاد انتباهه إلى وجه ريتشارد نيوتن المتوهج من الاحراج، فتابع هذا الأخير: «أما كيف تتلاءم مع جني الأرباح... حسناً! إنها لا تتفق مع الأرباح... ليس بشكل واضح. من المحتمل أنك لا تعلم كيف تجري الأمور هنا، سيد لوسي. أقصد... أنت معتاد على طرق أكثر عدائية في محيط عملك، على ما أظن...».

- إنني أتطلع إلى إجابة من جملة واحدة، سيد نيوتن. أنت رئيس المحاسبة، ومن المؤكد أن ذلك ليس بأمر صعب عليك.

- هذه المساعدة المالية بالتحديد هي التي تدعم الاسم التجاري للشركة... هذا ما يقال. آمي هوغان تهتم بها، ويمكنك القول إنها تمسك بزمام الأمور القانونية. والدك متحمس جداً لفكرة استعادة قسم من الأموال. وبالطبع، تعمل آمي على تحقيق الأرباح من هذا العمل أيضاً.

قطب روكو جبينه وعلق: «اعتقدت أنني التقيت بكل الأشخاص الذين لديهم صلة بالشركة، لكن لا أظن أنني سمعت باسمها».

- هذا لأنها لا تعمل في هذا المبنى. لديها مكتب بالقرب من بيرمنغهام، فهي في حركة دائمة طوال الوقت من أجل مراقبة الأمور في وسط المدينة.

- ما هي وظيفتها في الشركة؟

- إنها... حسناً! هي واحدة من المدراء المنفذين.

- ألم أطلب منك أن تعرفني على كل المدراء المنفذين؟

- أجل... صحيح. قلت لي ذلك، لكنها لم تستطع الحضور البارحة...

- لماذا؟

بدا صوت روكو منذراً بالسوء من شدة نعومته وهو يتابع: «هل قدمت تقريراً طبياً بسبب المرض أم أنها خارج البلد؟»

مرت عدة لحظات فكر ريتشارد نيوتن خلالها بجدية أن يختار العذر الصحي، لكنه قال: «قالت إنها منشغلة».

- قالت... إنها... منشغلة!

وجد روكو من الصعب عليه أن يصدق ما سمعته أذناه. لقد أصدر أوامره بوضوح كلي منذ اللحظة الأولى التي وطأت فيها قدماه الشركة، وهو معتاد على رؤية الجميع يطيعون أوامره بسرعة البرق بدون طرح أي سؤال، أما أن تتجاهل موظفة أوامره ببساطة لأنها منشغلة، فهذا يتخطى حدود تفهمه.

- بالكاد تتوقف آمي عن العمل!

بذل ريتشارد مجهوداً إضافياً في محاولة يائسة ليتفادى القذائف الموجهة إليه بدون رحمة، والتي شعر بها من خلال تعابير وجه روكو. تابع قائلاً: «إنها تعمل الآن على مشروع ضخم جداً».

- وهل هذا المشروع الضخم هو من النوع الذي لا يجني أي أرباح؟

أجاب بصوت خافت كأنه يعتذر: «مركز المجموعة في منطقة فقيرة جداً في وسط المدينة».

شعر روكو أن صبره المشدود بدأ ينفد، فهذا حدث غير طبيعي في حياته. في ذلك المكان الراقي الذي يعيش فيه، توفر له السلطة والقوة ثقة بالنفس لا نظير لها، تجعله يتعامل مع الزمر الضعيفة ببرودة كاملة. كما أن اتفاقات بقيمة ملايين الدولارات لا تفقده صبره، بل تثير فضوله المهني وذكاءه الحاد. كل شيء يأخذ مكانه ببساطة من خلال عمله الهادف الدقيق. أما أن تختار امرأة بمركز شبه عادي أن تتجاهل دعوته لأنها لم ترغب في إزعاج نفسها، فهي فكرة تجعل أسنانه تصطك من شدة الغضب.

مال إلى الأمام واضعاً مرفقيه على المكتب، وقال: «ها أنا أسند إليك

عملاً صغيراً، سيد نيوتن. ستتصل هاتفياً بالآنسة هوغان ما إن تخرج من هذا المكتب وتقول لها إنني سأذهب لزيارتها بعد ظهر هذا اليوم، وأتوقع أن تكون بانتظاري في مكتبها مهما كانت منشغلة عند الساعة الثالثة بالتحديد. وإن لم تكن هناك، بإمكانك أن تؤكد لها أن رأسها سيوضع في المقصلة بدون أي شك».

فتح ريتشارد نيوتن فمه ليعلن أن صرف الإداريين يتم من خلال اجتماع لمجلس الإدارة، ثم أقفله قبل أن يتمكن من التلفظ بكلمة واحدة، فهذا الرجل لا يمكن التعامل معه بالقواعد العادية. إنه قانون بحد ذات. هز برأسه وخرج من الغرفة وهو يشعر بارتياح عميق لابتعاده عن روكو، فيما أخذ هذا الأخير بالتفكير ملياً بأمر لم يواجهه من قبل. لو أن هناك أي نوع من الاتصال بينه وبين والده، لوصل إلى هنا وفي جعبته بعض التوقعات عما سيصادفه. كما حدث في الماضي تماماً، حين قاده العداء بينهما إلى البحث عن نجاحه في الجانب الآخر من المحيط الأطلسي. وصل إلى إنكلترا اليوم ولا فكرة لديه كيف يتم العمل في شركة والده، ولا يعلم حتى إن كان عمله ناجحاً أم لا. مرر أصابعه في شعره وضغط على الزر الذي يصله بالسكرتيرة، فطلب منها أن تستدعي سائقاً ليوصله إلى مكتب هوغان في وسط المدينة.

أمضى ما تبقى من الصباح وهو يطلع على جداول الربح والخسارة، ويستجمع المعلومات عن الكومبيوتر، وفي الوقت ذاته يتصل بمكاتبه عبر الأطلسي من خلال جهاز الكومبيوتر النقال. توقف عن العمل عند الساعة الثانية عندما قاطعته السكرتيرة لتخبره أن السائق قد وصل.

* * *

لم يعلم روكو ماذا عليه أن يتوقع، فشركة لوسي للبناء تقع في ضاحية سترانفورد، ومكاتبها موجودة في مبنى تقليدي يعبق بأناقة العالم القديم، وهو مختلف جداً عن مبنى شركته الزجاجي الحديث المميز

الواقع في قلب نيويورك كاختلاف الجبن عن الطبشور.

انعطف السائق عبر الطريق بعيداً عن المنطقة الراقية ليدخل إلى شوارع مكتظة بالناس والأشياء. أخيراً أوقف السيارة أمام مبنى صغير من الإسمنت فيه عدد من المتاجر المتواضعة لبيع الصحف والمجلات. نظر روكو بتجهم إلى المدخل القاتم وسأل: «هل أنت متأكد أنك عرفت المكان المطلوب؟»

لاحظ زمرة صغيرة من الشبان يتسكعون أمام المبنى الذي لا يحمل أي اسم، من الواضح أن لا عمل لديهم في هذا اليوم الرائع المشمس من الصيف غير التجمع في هيئاتهم الرثة المخيفة.

- بالطبع، سيدي. فأنا معتاد على اصطحاب الآنسة هوغان عندما تتعطل سيارتها.

- وهذا أمر يحدث باستمرار. أليس كذلك؟

أجاب إدوارد بعفوية: «إنها مولعة جداً بسيارتها الميني الصغيرة، مع أنها تتعطل بين الحين والآخر».

أطلق روكو زفرة وهو يشعر بالضيق. دفع باب السيارة، وخرج بجسده الطويل القوي، ثم انحنى لينظر عبر النافذة ويقول: «سأتصل بك عندما أصبح جاهزاً للرحيل».

- أجل، سيدي.

تصور روكو أنه لن يبقى هنا لمدة ساعة، فلا رغبة لديه في مراجعة أي دفاتر أو سجلات مع تلك المرأة. بإمكانه القيام بذلك في مكتب والده المريح. لا! ببساطة سوف يجعلها تحضر نفسها لإمكانية إقفال هذا المكان المخصص للرعاية وتأمين الإعانات المالية، ما دام والده لن يعود إلى العمل في وقت قريب تاركاً لروكو تدبير أمور الشركة بحسب ما يراه مناسباً قبل أن يغادر إلى نيويورك. إذا أرادت الشركة التبرع بالمال لأهداف خيرية، فهناك وسائل أخرى للقيام بذلك. وسائل

تجلب إلى الشركة حسماً في الضرائب. وشركة لوسي للبناء ليست فرعاً غير رسمي لوكالة الإغاثة!

مع هذا التحديد الحازم في ذهنه دفع روكو باب المكتب ودخل إلى عالم لم يزره منذ فترة طويلة جداً. عالم من المفروشات الزهيدة الثمن والسجاد البالي والفوضى الواضحة. لم يكن هناك أي مكان مخصص لاستقبال الزوار، بل خمس مكاتب مكتظة في غرفة بالكاد تبلغ مساحتها نصف مساحة مكتبه الخاص في نيويورك. احتلت جداراً كاملاً منها خريطة معقدة لمراكز الرعاية، أما النوافذ فقد تركت مفتوحة ليدخل الهواء النقي إلى المكان. ما إن دخل إلى الغرفة حتى حدقت به العيون باهتمام غير خفي. ثلاثة رجال وامرأتان، جميعهم في العشرينيات من أعمارهم. اثنان من الرجال عقدا شعرهما إلى الوراء كذيل الفرس، وعلى العكس تماماً قصت المرأتان شعرهما في تسريحة قصيرة جداً. قال روكو: «أبحث عن آمي هوغان».

تقدم إلى الأمام ليكتشف تفاصيل أخرى في الغرفة ظهرت أمامه، مثل لوح لكتابة الملاحظات ألصقت الرسائل عليه حتى باتت تغطي كل سنتيمتر فيه، وصناديق للأسلاك معظمها ممتلئ، وصندوق فيه آلات يدوية لم يتمكن من معرفة وجهة استعمالها. تقدم أحد الشبان منه، ونظر إليه بريبة وهو يقول: «إنها في القسم الخلفي».

رفع يده عندما حاول روكو السير في الاتجاه الذي ذكره، وتابع قائلاً: «إلى أين تعتقد أنك ذاهب، يا صديقي؟»

- أنا هنا لمقابلة الآنسة هوغان.

- ومن أنت؟

- روكو لوسي.

أسقط الشاب يده من الدهشة، وساد جو من الاهتمام على الفور.

- لدي موعد مع الآنسة هوغان. في حال أنها لم تذكر ذلك.

- لا، لم تفعل. كيف حال والدك؟ بالمناسبة يا صديقي، اسمي فريدي.

آسف، لكن لا يمكنك إلا أن تكون حذراً في هذه الأماكن.

مدّ فريدي يده من جديد، وتفاجأ روكو من قوتها وهو يصافحه.

سُمع صوت منخفض، أجش يتصف بالمرح يقول: «أرى أنك قابلت فريق عملي».

رفع روكو نظره ليرى امرأة تقف عند إطار الباب، وهي مرتدية ثياباً عادية مثل كل شخص هنا، سروال جينز وقميصاً قصيرة الكمين مخططة، وحذاء رياضياً خفيفاً.

- أنا آمي هوغان، ولا بد أنك ابن أنطونيو.

النعومة التي ظهرت في صوتها عندما ذكرت اسم والده حركت شيئاً ما في أعماقه. قابل روكو ابتسامتها السخية بابتسامة مقتضبة منه. إنها رشيقة القد. شعرها بني اللون منسدل على كتفيها. عيناها واسعتان بنيتا اللون، وهناك القليل من النمش حول أنفها الصغير المستقيم. تساءل ما الذي تملّك والده حتى وظف امرأة تبدو يافعة جداً لتهتم بمبالغ من المال تجعل الكثيرين يتخبطون بها! ما الذي جعله يندفع لتلبية ما ترغب به؟ مركز للرعاية هنا، وملجأ هناك، وحديقة عامة في مكان آخر. عليه التأكد من أوراقها ومؤهلاتها. قال وهو يسير نحوها: «ربما بإمكاننا الجلوس في مكان ما لنتكلم».

- يقع مكتبي في القسم الخلفي.

يا إلهي! كم هو فارع الطول. اضطرت آمي إلى رفع رأسها لتتمكن من النظر إليه. إنه طويل ووسيم بشكل لا يصدق. أجبرت نفسها على إبعاد نظرها عنه وإلا ستخاطر بالتحديق به بلا خجل. إنه أسمر البشرة، ذو شعر أسود داكن، وعيناه زرقاوان ثاقبتا النظرات. رسمت آمي أكبر ابتسامة على وجهها قبل أن تسأله: «هل ترغب في شرب شيء ما؟ شاي أم قهوة؟ في الواقع، عليك أن تحذف القهوة، فقد نفدت منذ عدة أيام ولم يتمكن أحد منا من إحضار المزيد. لذا لديك الشاي أو الماء».

- لا بأس. أنا هنا فقط من أجل حديث قصير، بعد ذلك سأرحل على

الفور.

رفعت آمي كتفيها، وسارت أمامه نحو مكتبها الذي هو مجرد غرفة أخرى أصغر من الأولى لكن وضعها مشابه لها. مهما يكن، هناك مكتب سارت لتجلس وراءه، وهناك عدد من الكراسي، حيث أشارت إلى واحدة منها ليجلس روكو عليها.

بدا وكأنه يقزّم الغرفة، ما جعلها تشعر بإحساس مربك ومقلق. الطريقة المتأنية التي راح ينظر بها حوله في الغرفة قبل أن يقوم بتركيز انتباهه عليها أثارت ارتباكها. هذا أمر مثير للدهشة، فالعمل الذي تقوم به يجبرها على الاتصال برجال هم فعلاً مثيرون للارتباك أكثر من روكو لوسي.

سألته آمي: «بماذا يمكنني أن أخدمك؟»

ابتسمت له بتهذيب مع أنها شعرت بأن ابتسامتها تلك تكاد تتحول إلى ابتسامة قلقة.

- طلبت منك أن تكوني في مكتب والدي البارحة؟

- أعلم. آسفة بشأن ذلك، لكنني كنت منشغلة جداً ولم أتمكن من إيجاد الوقت الكافي لأذهب. كيف حال والدك؟ شعرنا كلنا بالقلق عندما علمنا أنه أصيب بذات الرئة. أخبرني أنه يشعر ببعض التعب لكننا أصبنا بصدمة كبرى عندما علمنا أنه نقل إلى المستشفى. حاولت رؤيته في المستشفى عدة مرات، لكنه ما زال ضعيفاً جداً. فكرت أن حضوري لن يفيده بشيء.

- لنوضح أمراً مهماً، آنسة هوغان. أنا سأبقى هنا لأقل وقت ممكن، وأثناء الوقت الذي سأمضيه هنا، أتوقع التعاون من كل عنصر من فريق عمل والدي. وهذا يشملك أنت، مهما كان مركز عملك بعيداً عن الشركة.

توقفت آمي عن الابتسام وقابلت تحديقه بها بنظرة غاضبة.

- من فضلك اقبل اعتذاري. والآن، ربما يمكنك أن تخبرني بما تريده مني.

بدا ريتشارد غامضاً وهو يحدثها عن زيارة روكو، لكنه أنذرها بشر ما، وهي لم تضغط عليه لتستوضح ما قصده. افترضت أنه يريد أن يلقي نظرة سريعة على المشاريع التي عملت عليها مؤخراً أو تلك التي تتولى القيام بها في الوقت الحاضر، لكنها أدركت الآن بانزعاج أن تفاؤلها هو مجرد أوهام طفولية.

- أريدك أولاً أن تخبريني ما هي مؤهلاتك العلمية.

- أستميحك عذراً؟

- مؤهلاتك العلمية!

سألته وهي تشعر بوجهها يتقد ناراً أمام تحديقه البارد: «هل هذا ضروري حقاً؟ أنطونيو يثق بي دائماً..».

- ليس والدي من يدير أمور الشركة في الوقت الراهن. أنا من يفعل ذلك. وهناك احتمال كبير بألا يتمكن من العودة إلى العمل في وقت قريب، وفي هذه الحالة من واجبي أن أستلم زمام الأمور وأعمل على إدارتها بالطريقة التي أراها مناسبة قبل مغادرتي البلاد.

على الرغم من أزيز المروحة الموضوعة على سطح إحدى الخزائن الحديدية الرمادية المليئة بالملفات، بدت الغرفة كأنها فرن، فرفع روكو كمي قميصه. تساءل كيف يمكن لهؤلاء الاشخاص أن يعملوا هنا في هذا الجو الحار. تذكر الصيف الأول الذي أمضاه في نيويورك، قبل أن يبدأ صعوده السريع كالشهب في دنيا الأعمال. يومها عاش في صندوق يشبه هذه الغرفة؛ غرفة نوم واحدة مع حمام صغير ومطبخ تندفع الحرارة من نوافذه المحطمة كالنار في الجحيم. مرت عشر سنوات على تلك الأيام، والذكريات المؤلمة المتعلقة بها أصبحت شبه منسية، والحمد لله. أما الآن فشقته فاخرة، مكيفة لتتأقلم مع حرارة الصيف الشرسة.

سألته آمي ببرودة: «ما علاقة عملي بمؤهلاتي العلمية، سيد لوسي؟»

مال روكو إلى الأمام فارضاً عليها قوته وشخصيته المسيطرة وهو يقول: «لأكون صريحاً آنسة هوغان، سأخبرك ما الذي وجدته منذ وصولي إلى هنا.

وجدت شركة ناجحة لكنها تتخبط بالاهمال بدلاً من التخطيط والتصميم. أعمال البناء ناجحة، ويبدو أن والدي يمسك سوق العمل ببساطة لأن شركة لوسي للبناء قائمة منذ زمن بعيد، وهي تستفيد من شهرتها. بدا لي أن المدراء قانعون بالجلوس في مكاتبهم وتقبل هذا الوضع الجيد من الأعمال من دون التفكير في احتمال أن تقوم الشركات المنافسة بالتسلل واقتناص فرص العمل في السوق. لا يحتاج الأمر إلى عبقري في الاقتصاد ليرى بوضوح التصدع الموجود في الشركة. بالإضافة إلى ذلك، أجد أن مبالغ طائلة قد وضعت تحت تصرف طفلة، كل ما تفعله هو القيام بدور عاملة محسنة».

- طفلة...؟ تقوم بدور... عاملة محسنة؟ هل تتحدث عني، سيد لوسي؟

- بالضبط!

تراجع روكو إلى الوراء على كرسيه ونظر إليها ببرودة وعدم مبالاة. يبدو أن ذكاءها حاد لكنها مع ذلك ما زالت طفلة... ربما في التاسعة عشر من عمرها؟ أو العشرين؟ ليس هناك أي أثر لمساحيق الزينة على وجهها. إنه معتاد على التعامل مع نساء يشغلن مراكز هامة في عالم الأعمال، كما أنه معتاد على رؤيتهن يرتدين بذلات عمل ويضعن المساحيق لتزيين وجوههن.

- حسناً! أنا في السادسة والعشرين من عمري، مع أن لا علاقة لك مطلقاً بذلك.

- آه! أنت مخطئة في اعتقادك فهذا هو عملي، على الأقل في هذه الأثناء. أنا مديرك الآن، لذا يهمني جداً أن أعرف ماهي الخبرة التي تؤهلك للتعامل مع هذه المبالغ الطائلة من المال. من هو رئيسك المباشر؟

- رئيسي المباشر كان دائماً والدك!

- إذاً أنت تخبرينني أن لديك الحرية المطلقة للقيام بكل ما ترغبين به، وأن بإمكانك أن تبني أي ملجأ بطريقة تلقائية بمجرد إعلام أبي بالأمر؟

وهل تديرين هذه المشاريع معه في اجتماعات غير نظامية عندما تجدين الوقت لذلك؟

شعرت آمي بالدماء تندفع إلى رأسها من شدة الغضب. هذا يتجاوز حقاً حد التفاخر! شعرت أنها واقعة في مأزق حقيقي، إذ لا يمكنها أن ترميه خارج مكتبها لأنه رئيسها في الوقت الراهن، كما أنه سيبقى رئيسها لفترة أطول إن وجد أنطونيو نفسه مرغماً على التقاعد باكراً. فأنطونيو الآن في السبعينيات من عمره، وأخبرها الطبيب أن ذات الرئة هي أكثر خطورة بالنسبة لمن هم في مثل عمره، خصوصاً إذا أخذنا بعين الاعتبار الذبحة الصدرية التي أصيب بها مؤخراً.

- أشعر بالاستياء من كلامك الذي يلمح إلى أن فريق عملي يفتقد للاختصاص!

- بحق السماء! أخبريني ما الذي يجعلني أفكر بسوى ذلك؟

نظر روكو حوله بتعمد إلى تلك الجدران الوسخة في المكتب، وإلى السجادة البالية ورفوف الكتب الرخيصة التي بالكاد تستطيع حمل كتب القانون وإدارة العقارات.

قالت آمي من بين أسنانها: «سيد لوسي، أنت شخص هجومي».

قطب روكو جبينه بغضب واضح وقال: «سأقرر أن أتجاهل هذه الملاحظة».

- علاوة على ذلك، حالة مكتبي لا علاقة لها مطلقاً بنوعية عملي! آه! أظن أن الأمور تسير بشكل مختلف جداً في نيويورك؟

بالكاد استطاع روكو تصديق ما سمعته أذناه. من تعتقد هذه الفتاة التافهة نفسها؟ العينان البنيتان اللتان تبدوان كاللوزتين راحتا تلمعان من الغضب. احتاج لبذل مجهود فعلي ليتمكن من استعادة السيطرة على نفسه، وهذه بحد ذاتها تجربة جديدة عليه. قال بصوت حازم هادئ: «أعتقد أننا ابتعدنا عن المسألة المهمة التي بين أيدينا الآن، آنسة هوغان. ومن أجل تحديد الأولويات، أريد أن أرى ملفك الشخصي، وأريد الاطلاع على

تفاصيل المشروع الذي تعملين عليه، كما أنني أريد تخفيض الأموال المخصصة له. بالإضافة إلى ذلك، أريد تقريراً منك على مكتبي في صباح الغد يتضمن جداول بالأموال التي أنفقت خلال العامين الماضيين على كل المشاريع التي لا تتوخى الربح، وعن بعض المشاريع القليلة التي قمت بها وأفادت الشركة فعلاً».

فتحت آمي فمها مستغربة، ثم ضحكت بصوت عالٍ وقالت: «أخشى القول إن ذلك أمر مستحيل».

- عفواً! لا أصدق أنني سمعت ما قلته.

- لا مجال مطلقاً لأفعل ذلك كله حتى صباح الغد. كما أن ريتشارد يملك كل هذه المعلومات بكل الأحوال. والآن، هل هناك شيء آخر؟

حسناً! إنها تتصرف بردة فعل واضحة، ساعة للرجل أن يتمكن منها، لكنها لا تستطيع أن تفعل غير ذلك. وقفت ومدت يدها إليه مودعة. نظر روكو إلى اليد الممدودة ببرودة، ولم يتزحزح من مكانه.

- اجلسي آنسة هوغان، فأنا لم انتهِ من التحدث إليك بعد.

- بإمكاني أن أعد لك ملفاً بتلك المعلومات في نهاية هذا الأسبوع.

قالت ذلك وهي تعود إلى مكانها، وتنظر إلى الرجل الهادئ الجالس أمامها بكره عميق.

- تقولين إنك في السادسة والعشرين من عمرك.

وضع روكو ساقاً فوق أخرى، متجاهلاً غصن الزيتون الذي قدمته له. أدرك أنه يستمتع بهذه المناوشة الذكية والمليئة بالثقة بالنفس، مع أن الوقت الذي خصصه للبقاء هنا شارف على النهاية.

فاجأ نفسه بقوة وهو يسأل: «هذا يعني أنك تعملين في شركة لوسي للبناء منذ...؟ أربع سنوات...؟ من المؤكد أنك أثبت نفسك بشكل قوي جداً وفي وقت قصير لتحصلي على مركز القيادة في هذه المجموعة التي تستمتعين برؤسها».

اعترفت آمي بخشونة: «منذ عشر سنوات».

- عشر سنوات؟ هذا أمر غير مفهوم بالنسبة لي.

- ما الذي لم تفهمه؟

- متى تمكنت من إنهاء المرحلة الجامعية؟

امتد الصمت بينهما حتى الملل. أخيراً قالت آمي: «لم ألتحق بالجامعة، سيد لوسي. التحقت بشركة والدك مباشرة بعد أن أنهيت المرحلة الثانوية».

ما كان روكو ليندهش أكثر لو أنها أعلنت أنها نشأت بين جماعة من الذئاب في أفريقيا.

قالت بسرعة بنبرة دفاعية: «لا يحظى الجميع بفرصة الالتحاق بالجامعة. إنها امتياز وليست حقاً».

لم تستطع تحمل النظرة المباشرة من تينك العينين الزرقاوين الثاقبتي النظرات، فأخفضت بصرها لتتمكن من التحديق بطرف رسالة وضعت على مكتبها.

- أتقصدين أن علاماتك لم تكن كافية لتدخلي الجامعة؟

- أقصد، سيد لوسي...

تنفست بعمق ورمته بنظرة سريعة من تحت أهدابها قبل أن تتابع: «... أن أمي توفيت وأنا صغيرة، وكبرت طفلة وحيدة مع والدي. عندما أصبحت في الرابعة عشرة من عمري أصيب والدي بالألزهايمر، وعندما أصبحت في السادسة عشرة لم يكن لدي خيار إلا بوضعه في مركز للخدمات الاجتماعية. أنهيت امتحاناتي، لكنني لم أستطع متابعة دراستي. حصلت على عمل مع والدك، وحالفني الحظ بالعيش مع عائلة بالتبني حتى أصبحت ناضجة بما يكفي لأنتقل وأعيش بمفردي. لطالما رغبت في الالتحاق بالجامعة، لكنني بالكاد تمكنت من الاستمرار مع وجود والدي في مركز الرعاية، لذا لم يكن لدي أي خيار».

عبثت آمي بقلم على مكتبها وهي تعلم أنه يحدق بها. فكرت بمرارة أن هذه هي فرصته الكبرى الآن. فلا مؤهلات لديها وهي لا تحمل أي شهادة جامعية.

- حسناً! مؤهلاتك كلها تعتمد على الخبرة إذاً!

- عملت كاتبة في محل تجاري في البداية، ثم مساعدة لوالدك. عملنا معاً على وضع خطة لمساعدة الفقراء، وفي نهاية الأمر تحملت مسؤولية إدارة هذه الأعمال بمفردي.

- فهمت.

شعر روكو أنه يتشبث بموضوع غير مألوف لديه وهو يسألها: «وأين هو... والدك الآن؟»

- توفي منذ عامين.

لن يتوقف الألم مطلقاً كلما تحدثت عنه، ولهذا السبب هي لا تفعل. أكملت تقول: «شعرت أن ذلك أفضل له. أصبح مرتبكاً جداً في أواخر أيامه، ولم يعد يتذكرني. أصبح يعتقد أنني أمي. حسناً! هل حصلت على كل ما تريده؟»

استخرج هذا الكلام منها بالرغم عنها، وكرهته آمي بسبب ذلك. تابعت تقول باستياء واضح: «هل ترغب في أن أطبع لك هذا الكلام في تقرير وأضعه على مكتبك أيضاً؟ تاريخ حياتي منذ أن ولدت حتى الآن؟»

تورد وجه روكو بشدة وقال: «ما من داعٍ لهذه السخرية».

- آه! هل أنا من يتكلم بسخرية؟

تمسكت بحاجتها القوية لمهاجمته، وتابعت: «اعتقدت أنني فقط أطيع أوامرك».

- أبي يثق بك، وأنا سأصدقك بسبب تلك الثقة.

رفع كتفيه ومال إلى الأمام واضعاً مرفقيه على ركبتيه. ثم تابع: «بالرغم من تعاطفي معك بسبب الحياة القاسية التي أجبرتك على ترك الدراسة وأنت يافعة والتوجه إلى العمل، لكن هذا لا يعني أن المبالغ الطائلة التي تنفق على مراكز الاحسان يجب أن تبقى بلا محاسبة. أنا هنا لإدارة أعمال والدي، وأول قاعدة في العمل هي أن الشركة لا تستمر إلا إذا كانت تجني أرباحاً».

قالت بضيق: «أعرف ذلك».

- أحقاً؟

تراجع روكو إلى الوراء، وهو يشعر بالارتياح بسبب قوة شخصيته. غادر بريطانيا وهو لا يملك شيئاً، ثم تسلق سلم النجاح بمفرده معتمداً على قدراته فقط.

- بالطبع أعرف ذلك.

- في هذه الحالة لن تمانعي بإطلاعي كيف أنفقت كل قرش عبر السنتين الأخيرتين.

- ستكون المعلومات كلها على مكتبك في نهاية الأسبوع.

الله وحده يعلم ماالذي ستكون عليه ردة فعله. إنه يفكر من خلال طريقة واحدة: لا أرباح، إذاً لا جدوى من هذا العمل! قال روكو ببطء: «لا أريد تلك المعلومات على المكتب».

- لكن...

- أريدك أن تحضريها بنفسك، وأن تنقلي لي بنفسك الأخبار السيئة. إن أردت الحقيقة، بهذه الطريقة يمكننا مراجعة كل الأعمال، وعندئذٍ ستتمكنين من الاستيعاب بصورة أفضل لماذا أرغب في إقفال مكتبك الصغير المريح.

وقف عن كرسيه، لكنه لاحظ أن وجهها فقد لونه من شدة الشحوب. قال لنفسه بنفاد صبر إنه قبل كل شيء رجل أعمال، وهو ليس رجل أعمال عادي، بل إن صلابته أسطورية. إن سمح لأي إحساس غير منطقي بالتعاطف أن يتملكه فذلك سوف يشل قدرته على إدارة الشركة.

قالت آمي بثقة: «لن يتحمل والدك نتائج هذا العمل».

- والدي في المستشفى آنسة هوغان، وإدارة هذه الشركة ملقاة على عاتقي بالكامل.

- هذا أمر سخيف باعتبار...

- باعتبار... ماذا؟

ضاقت نظرة عينيه بطريقة مهددة. وقف بقامته الفارعة محدقاً بها، وعلمت آمي أنه ما كان عليها التلفظ بملاحظتها منذ البداية. قالت بسرعة: «باعتبار... أن هذه الشركة بأكملها مجرد شركة صغيرة بالنسبة إليك، وأنت تجدها مملة على ما أعتقد. لا بد أنك تقوم بالأعمال بشكل مختلف في نيويورك، وربما عليك التفكير بالأمر قبل أن تبدأ باتخاذ قراراتك».

تابعت في سرها: باعتبار أنك لم تجتمع بوالدك سوى أربع مرات فقط خلال عشر سنوات! تعلم آمي ذلك لأن أنطونيو أخبرها، ولأنه حماها تحت جناحه فأصبحت بطريقة ما الابنة التي لم يحظَ بها.

علق روكو بلا اهتمام: «شكراً لك على النصيحة».

أمسك بهاتفه النقال ليتمكن من الاتصال بسائقه كي يأتي لاصطحابه. أنهى المخابرة وأعاد الهاتف إلى جيب قميصه، ثم ابتسم لها ببرودة وتابع: «مع أنني من النادر أن أتبع أي نصيحة، فلطالما وجدت أن النصائح تحمل أهدافاً أخرى ليست مفيدة لي على الإطلاق».

أخفضت آمي بصرها لكنه شعر بها تغلي من الغضب، راغبة بشدة أن ترميه بملاحظة ساخرة منتقدة، فشعر للمرة الثانية بإحساس من المرح والاستمتاع. قال لها: «موعدنا يوم الجمعة في مكتبي. احضري الأوراق وكل ما يتعلق بالمشاريع التي تعملين عليها في الوقت الحاضر، وأي شيء يتعلق بعملك. سأكون بانتظارك عند الساعة الثالثة والنصف».

في الخارج، رأى أن زمرة المراهقين قد رحلت، وحلت مكانها فتاتان تجلسان على كرسيين متحركين وتتحدثان. بدتا يافعتين جداً وفي سن الدراسة. نظر حوله إلى الشوارع المكتظة التي تعود كلها إلى الشارع الرئيسي فرأى إدوارد بانتظاره. لم يذهب روكو مباشرة إلى السيارة. بل وقف وتابع معاينة المكان، ثم نظر وراءه إلى المكتب. عليه أن يعترف على الأقل أن عمله هنا لن يكون مملاً. لا بد أنهم جميعاً يتذمرون منه الآن، ويتهامسون عليه من وراء ظهره، لكنهم سيصبحون سعداء جداً عندما يوصل هذه الشركة

إلى مستوى شركات القرن الحادي والعشرين، كما أنه سيضاعف ربحها أربع مرات، وهذا أمر هو متأكد من القيام به ومن دون أن يبذل الكثير من الجهد. فكر بكآبة أن النجاح في العمل هو أهم إنجاز يحققه المرء في الحياة، ففي النهاية المال يتكلم. . .

٢ - موعد وتحدٍّ

وصلت آمي إلى المركز الرئيسي للشركة قبل الموعد المحدد. مرت ثلاثة أيام فكرت خلالها ملياً بتهديد روكو الذي حرمها النوم لساعات. راحت تبحث عن أفضل الوسائل للتعامل مع الرجل، فوصولها متأخرة إلى الاجتماع متذرعة بانشغالها لتبرهن له أهمية عملها سيثير غضبه، وسيجعل الأمر يرتد عليها بالسوء بدون أي شك. لم يساعدها ذهابها لرؤية أنطونيو نهار أمس، إذ وجدت أن حالته ليست على ما يرام، فلم تستطع أن تطرح عليه أسئلة تتعلق بالشركة. بالإضافة إلى ذلك، علمت من الأطباء عند مغادرتها أنه سيبقى في المستشفى لثلاثة أسابيع أخرى على الأقل، وبعد ذلك سيأخذ إجازة من العمل ليزور أقاربه في إيطاليا، وسيبقى تحت رعايتهم حتى يشفى تماماً. وبالطبع، لا مجال مطلقاً لكي يتابع أعماله من هناك. من المؤكد أن روكو عمل من خلال اتصالاته الهاتفية على تأمين كل ما هو ضروري لراحة والده، ما يعني أنها تركت بمفردها لمواجهة المخطط السيء الذي يعده لها هذا الأخير.

سيستلم روكو مهام العمل هنا ويبدأ بإجراء التغييرات التي يتحدث عنها، والتغيير الأول هو إقصاؤها هي وفريق عملها من الشركة، فيما أن الشخص الوحيد الذي تشعر أنها تستطيع التحدث إليه في هذا الشأن هو أنطونيو، وذلك أمر متعذر الآن. أنطونيو هو الشخص الأول الذي ترجع إليه عندما تصادف مشكلة ما، والكتف الوحيدة التي يمكنها إلقاء رأسها عليها، لذا بدا عدم التواصل معه الآن صدمة قوية جداً بالنسبة إليها. توقعت أن يتركها روكو تنتظره لفترة ما، فقد قرأت في مكان ما أن

www.elromancia.com

الأشخاص المهمين يتبعون هذه الطريقة لإثبات أهميتهم. لكن ما إن وصلت حتى طلب منها التوجه مباشرة إلى مكتبه لتجده جالساً وراء مكتب والده مع كومة من الملفات أمامه، وهي ملفات تعرفها جيداً. بدا وجهه عابساً ووسيماً تماماً كما تتذكره، وجه يحفز أي رسام إلى رسمه بأدق التفاصيل، لكنه يملؤها بإحساس من الكره نحوه. بدت عيناه الرائعتان قاسيتين وبغيضتين، أما صلابته المجردة من العاطفة فتشع حوله كحقل ألغام خطير جداً. ما إن حرك روكو رأسه باتجاه الكرسي المواجه له حتى انزلقت عليها بارتياح. قال وهو يدفع رأسه إلى الوراء: «وصلت في الوقت المحدد، وهذا أمر ملفت للنظر».

عملت آمي على وضع ابتسامة مهذبة على وجهها قبل أن تقول: «من الصعب التحكم بالوقت حين تعمل على الأرض، سيد لوسي. كما أن المسافة طويلة إلى ستراتفورد من مكان عملي. هذا مع العلم أنني أستطيع الحصول على المعلومات بعد انتهاء الاجتماع. أحضرت لك الملفات التي طلبتها».

مدّت يدها إلى حقيبة عملها، ففتحتها وأخرجت ملفاً يحتوي على عدة ملاحظات لمشاريع مختلفة.

بدلاً من أن يمد يده ليستلم الملف، لم يتحرك روكو مطلقاً.

- لدي أخبار سيئة على ما أعتقد، آنسة هوغان.

واستمر بالنظر إليها بعينيه الزرقاوين الرائعتين وهو يتابع: «مع أنني أظن أنك تعرفين مسبقاً ما الذي سيحدث طالما أنك قمت بزيارة أبي».

- أعتقد أنها أخبار رائعة، إن كنت تتحدث عن اقتراح طبيبه بالذهاب إلى إيطاليا ليستعيد صحته.

قالت لنفسها: عليك أن تبقي هادئة ومتفائلة، لا تدعيه يلاحظ أي إحساس من الضعف لديك، لأن روكو لوسي سيستغل الأمر كقرش تحس بوجود الدماء. بالطبع، سيعمل كما يرغب ولا مجال للشك بذلك، لكنها لن تستسلم بدون أن تدافع عن عملها، وهي بالتأكيد لن تتخلى عن

كرامتها أثناء القيام بذلك. تابعت قائلة: «لا فكرة لديك كم كان يرهق نفسه بالعمل خلال السنتين الماضيتين».

أجاب روكو وهو يعلم أنه يوجه لها كلمات عنيفة: «لم يكن بحاجة لأن يعمل بكل هذا الجهد، لو أن لديه فريق عمل يستطيع الاعتماد عليه».

- لن أنجر للحديث وانتقاد أي شخص هنا في الشركة. ربما علينا العودة إلى عملنا والبدء بدراسة ملفاتي.

تساءلت متأخرة، إن كان عليها أن تكون أكثر تهذيباً. لابد أن روكو لوسي أمضى معظم حياته في مركز سلطة، حيث يمدحه الجميع ويترددون إليه متوقعين الحصول على شيء ما منه. أمثاله معتادون على تبعية الناس لهم، وهو يتوقعون ذلك دائماً.

قال بتكاسل: «آه! ألقيت نظرة أولية على بعض الحسابات».

مال إلى الأمام ووضع مرفقيه على المكتب متابعاً: «المشروع الصغير الأخير الذي قمت به بدا وضيعاً، فهو لا يتعدى الخمسين ألف جنيه إلا قليلاً، مقارنة بما تبقى من مشاريعك».

- هذا المبلغ يبقى مجرد نسبة قليلة جداً مقارنة بالأرباح الإجمالية لشركة لوسي للبناء.

أشارت آمي إلى ذلك، محاولة أن تهدئ من اضطراب أعصابها.

- لطالما كان التوافق يتم...

- أنا سعيد جداً لأنك استعملت صيغة الفعل الماضي. دعيني أضعك في الصورة، آنسة هوغان. سأبقى هنا طوال الأشهر الستة القادمة، حتى بعد أن يشفى والدي تماماً. فقد أوصى الأطباء بألا يعود إلى العمل بدوام كامل. سأعمل على التأكد من أن الشركة تسير بالطريقة التي أريدها قبل سفري، ولن أتركها إلا بين أيدي من أحكم على جدارتهم في تولي زمام الأمور.

قالت آمي بصوت ضعيف: «ستة أشهر؟»

- على الأقل!

- أليس لديك أعمال أخرى عليك القيام بها؟ ماذا عن شركتك في نيويورك؟ ألا يفترض بك العودة بسرعة إلى هناك؟

- على العكس من هذه المؤسسة، بإمكاني الاتصال بشركتي في أميركا بسهولة. لدي أشخاص هناك قادرين على تحمل المسؤولية في غيابي. كما أن هناك طائرات يمكنها أن توصلني إلى أميركا في غضون ساعات إن احتجت إلى التواجد هناك».

- أنت في منتهى الكفاءة.

قطب روكو جبينه وعلق: «الكفاءة هي أساس العمل الناجح، وهذا يوصلني مباشرة إليك».

تراجع ليجلس بارتياح على كرسيه، فيما استمر في النظر إليها بعناية واهتمام.

- أنا كفوءة جداً بما أقوم به.

- ربما كان ما تقولينه صحيحاً، أنت ماهرة جداً في ما تفعلينه. لكن ببساطة، ما تفعلينه لا يُدخل مالاً إلى الشركة.

- هناك أمور مهمة في الحياة لا تتعلق بجني الأموال.

ظهرت بقعتان من الغضب على خديها، ووجدت نفسها تميل إلى الأمام وقد حولت يديها إلى قبضتين من الفولاذ وهي تتابع: «أنا شخصياً أجد من المؤسف أن يركز المرء في حياته على جني المال فقط. ما الذي تفعله بكل المال الذي تملكه، سيد لوسي؟ تجمعه في حسابك المصرفي، ثم تمضي الليالي وأنت تمتدح نفسك، وتربت على ظهرك سعيداً ومعتداً بأنك ولد ذكي؟»

نظر روكو إلى الوجه ذي الملامح الجدية الذي يحدق به بعناد، وشعر بذلك الاحساس من جديد، الاحساس المفاجئ بالنشاط. كأنه يتذوق شيئاً ما يملؤه قوة وهو لم يذقه منذ وقت بعيد. منذ بدء العمل في شركته، حيث كانت الشكوك توازي ثقته بنفسه. بعدئذٍ أصبح النجاح أمراً عادياً له، واكتشف أنه أصبح محاطاً بأشخاص يعملون مثله لأهداف واضحة. لم يعارضه أحد لأن قوته الظاهرة وتأثيره القوي جعل منه شخصاً لا يقهر ولا

يقاوم.

قال بصوت عميق: «آه! يمكنني أن أفكر بطرق أكثر جاذبية لإمضاء الليالي».

شعر بالمرح عندما تورد خداها بعد أن لاحظت المعنى الحقيقي لما قاله. الاحساس بالانجذاب نحو الجنس الآخر سيطر عليها وكأن قطاراً سريعاً دهسها. إنه حقاً رجل جذاب جداً! اعترفت بذلك في سرها وهي ترتجف. لاحظت شعره الأسود وتلك الأهداب الكثيفة الداكنة التي تخفي جمال عينيه، وفمه الأنيق. رمشت بعينيها وجلست مستقيمة أكثر على كرسيها. أعادت النقاش من جديد إلى الأعمال قائلة: «ماذا تنوي أن تفعل، سيد لوسي؟ لدي فريق من خمسة أشخاص متفانين جداً، وجميعهم مرتبطون بما يفعلونه. اثنان منهم متزوجان، وهما بحاجة للأجر الذي يتقاضيانه. حسناً! الجميع بحاجة إلى المال إن أردت الحقيقة».

- إذاً...؟

- لا جدوى من الحديث معك، ولا أرى فائدة من تواجدي هنا.

وقفت آمي، لكنها وجدت نفسها تتردد في اتخاذ قرارها بالرحيل.

- القاعدة الأولى في قانون الأعمال هي ألا تدعي عاطفتك تسيطر على ردة فعلك. اجلسي من جديد!

وقف روكو وبدأ بالتجول في المكتب، واضعاً يديه في جيبي سرواله. توقف أمام رف للكتب القديمة، واستند إلى رف بارز يحمل مجموعة من التحف النادرة. حركت آمي كرسيها لتتمكن من مواجهته. شعرت أن التنورة ذات اللون الأزرق الداكن التي ترتديها قصيرة أكثر مما ترغب.

- درست الوضع جيداً، ووصلت إلى استنتاج مفاده أن انغماسك المتهور في مشاريعك الخيرية يجب أن ينتهي.

- ليس هناك أي تهور في...

رفع روكو يداً متغطرسة وقاطعها قائلاً: «... هذا لا يعني أنني متوحش ولا أقدر الحاجة الملحة للخدمة الاجتماعية، لكن أعتقد أنك

توافقيني الرأي أن هناك وسيلة أسهل بكثير للمساعدة».

- ما هي تلك الوسيلة؟

- أنا مستعد للموافقة على تحديد مبلغ من المال يقدم إلى مراكز الرعاية التي تختارينها.

نظرت آمي إليه وقد فتحت فمها في دهشة واضحة، ثم تنهدت بعمق قبل أن تقول ببطء: «الأمر بغاية البساطة بالنسبة إليك. أليس كذلك؟ أنت بحاجة لتبرهن أن لديك ضميراً حياً... تقدم مبلغاً من المال لمؤسسة خيرية، وهكذا تنام بأمان على وسادتك في النهاية. ما الجدوى من الاهتمام فعلياً بالجماعة من حولك؟ هذا مجرد عمل صعب، ممل، وغير منتج. أليس كذلك؟ ألم يخطر في بالك أن هناك نوعاً من الاشباع العاطفي من خلال مساعدتك للمحتاجين!»

ضغط روكو على لسانه بفقدان صبر وتوتر، وابتعد عن الرف متحركاً نحوها حتى أطل عليها كالبرج. انحنى فوقها واضعاً يديه على جانبي مقعدها، ليحيط بها تماماً، وقال: «إذا كنت تبحثين عن الاشباع العاطفي آنسة هوغان أظن أنك في المركز والعمل الخاطئين، فالأرقام التي تنفقينها بسخاء لا يمكن تعويضها بكل بساطة».

وقف مستقيماً على نحو مفاجئ لكنه استمر في النظر إليها. ضاقت نظرة عينيه المروعتين، وتابع: «والآن، دعيني أرى بالتحديد ما الذي تعملين عليه في الوقت الراهن. من الواضح أنني سأمدك ببعض المال للمشاريع التي هي على وشك التسليم».

سار بخطى سريعة عائداً إلى مكتبه، فوقفت آمي على مضض لتتبعه، وأمسكت برزمة الأوراق التي أحضرتها معها. لم تقابل يوماً رجلاً يشبهه. إنه كالصخرة، بلا مشاعر ولا يمكن التأثير به، وهذا لا يفاجئها مطلقاً. سارت من وراء المكتب وأخرجت التصميم المركب للمشروع الذي تعمل عليه. قالت بهدوء: «هذا أحد النوادي المهدمة في وسط المدينة».

رفعت كمي قميصها القطنية وتابعت وهي تشير إلى التصميم: «هناك

عدد كبير من الأمهات المطلقات هنا والكثير من المراهقين الذين لا يفعلون شيئاً. كان الأمر بمنتهى الصعوبة، لكننا تمكنّا من الحصول على إذن لبناء مركز للشباب في هذا المكان...».

أشارت إلى نقطة معينة على الخريطة بإصبعها، وشعرت بالحماس والطاقة ينبعثان منها وهي تتأمل مشروعها الجديد. كل المقيمين في المكان سيستفيدون من المشروع، الأمهات اليائسات التعبات، كما الأطفال. عرضت عليه المزيد من المشاريع التي ما زالت قيد الدرس، وأخبرته أن دي هو المهندس المختص الذي قام برسم مخططات للمشاريع التي يمكنهم تنفيذها إن حصلوا على المساحات الكافية. نسيت لدقائق معدودة أن روكو هو عدو رئيسي لكل كلمة تقولها. أخيراً، بعد أن أنهت حديثها الذي طال لفترة، شعرت بالحقيقة الباردة تغمرها وتسيطر عليها فوقفت مستقيمة. تابعت بحرارة: «هذا لا يشبه مطلقاً إعطاء المال لدور الاحسان وترك أمر إنفاقه لهم!»

- لا. إعطاء المال لمركز للرعاية يحتاج إلى ساعة أو أكثر، بينما يحتاج هذا العمل إلى عدة شهور من الوقت المثمر والجهد القوي.

دفع روكو كرسيه إلى الوراء واستدار لينظر إليها. شبك يديه وراء رأسه وعلق قائلاً: «لكن عليّ أن أعترف أنك شغوفة جداً بعملك».

- كلنا كذلك.

تساءلت، أمن الضروري أن يستعمل تلك الكلمة بالتحديد عنها؟

- عندما يتعلق الأمر بالعمل، الشغف هو أمر رائع بالفعل. ما هو دور أولئك الأشخاص الذين يعملون معك؟

تذكر روكو الرجلين صاحبي الشعر الطويل والمرأتين ذاتي الشعر القصير جداً، فرفع حاجبيه مظهراً ما الذي رآه فيهم جميعاً. قرأت آمي الرسالة الواضحة وعلقت على الفور: «فريدي يحمل إجازة في مسح الأراضي، تيم وآندي يتعاملان مع الأشخاص الذين يحولون المشروع إلى حيز التنفيذ، دي هو مهندس المشاريع، أما مارسي فهي مديرة تلك

المشاريع».

- وما هو دورك في هذا كله؟

أجابت آمي ببرودة وقد شعرت بسخريته المبطنة: «أنا أشرف على كل شيء، أحرص على انتهاء المشاريع في أوقاتها المحددة، أتصل بالمستشارين، كما أنني ألتقي بالمقيمين في المكان لأتأكد أن كل اقتراحاتهم تم درسها والأخذ بها».

تراجعت إلى الوراء وهي تراقبه يربت بهدوء على المكتب.

- أهذا هو الأمر الوحيد الذي تعملين عليه في هذه الفترة؟ أين اهتمامك بكلفة المشروع؟

تقدمت آمي إلى الأمام لتقلب الأوراق في ملفها، ثم نظرت إلى ساعتها وحبست أنفاسها. أشارت إلى كومة الأوراق وقالت: «إنها هنا، ومعظمها أرقام تخمينية، لكن المواد التي نستعملها معروفة، ويمكننا الحصول على أسعار مقبولة جداً».

- فلنراجعها معاً.

- لا أستطيع.

تورد وجه آمي وأشاحت ببصرها عنه قبل أن تدور حول المكتب لتمسك بحقيبتها وترفعها عن الكرسي. كيف مضى الوقت بهذه السرعة؟ هل أمضت ساعتين وهي تتكلم؟ تجاوزت الساعة الخامسة والنصف.

- برهنت لي من قبل فقدانك للمهارة العملية بعدم القدوم لرؤيتي في أول اجتماع في الشركة لأنك كثيرة الانشغال، والآن يبدو أنك مستعدة لقطع اجتماع عمل مصيري لك ولفريق عملك... بسبب ماذا؟

- علي أن أرحل. أنا آسفة.

مررت آمي شريط حقيبتها فوق ذراعها لتضعه على كتفها وهي تتابع: «لم أنتبه لمرور الوقت».

- إلى أين ستذهبين؟

- أنا مستعدة للبحث في أي موضوع تريد التحدث عنه ما دام يتعلق

بالعمل سيد لوسي، لكنني لست مستعدة أبداً لبحث حياتي الخاصة معك، فهذا أمر لا يعنيك مطلقاً.

مع أن نظرة عينيه الباردتين لم تتبدل، ولم يظهر فيهما أي غضب أو مكر، لكن آمي أدركت كيف تبدو الأمور الآن من وجهة نظره. تنهدت وأسقطت حقيبتها على الكرسي من جديد.

- لدي... لدي موعد، وأنا لا أستطيع إلغاءه لأنني ألغيت المواعيد الثلاثة السابقة. اشترى سام بطاقتين لمسرحية «حلم ليلة صيف» وأنا لا أريد أن أخذله أو أتخلى عنه من جديد.

نظر روكو إلى الوجه المتورد المحرج فشعر بتدفق مفاجئ من العاطفة. بدا كأن اهتماماً غير مألوف لديه يتفجر في أعماقه. تمتمت آمي بانزعاج عبر الصمت السائد الذي قرأت فيه انتقاداً واضحاً ومتنامياً: «كما أن سيارتي معطلة، ولا يستطيع إدوارد أن يقلني إلى المسرح. عليّ العثور على سيارة أجرة، وهذا أمر صعب جداً في هذا المكان من المدينة في الصيف. فهناك الكثير من السائحين».

فكرت بالرحلة التي ستقتطعها، والتي لن تترك لها وقتاً كافياً لتذهب إلى المنزل وتبدل ثيابها، كما أنها حاولت بضيق أن تتخيل تعابير وجه سام وهو يذرع قاعة الاستقبال ذهاباً وإياباً في انتظارها. لن يرضى عن ذلك أبداً، فقد قال لها إن ولعها بالعمل بدأ يفقده صبره.

رفع روكو كتفيه وقال: «حسناً! ستتابع درس الملفات نهار الإثنين».

تنفست آمي بارتياح ونظرت إليه خلسة. بالنسبة إلى رجل ضخم البنية مثله، هو يتحرك برشاقة مثيرة للانتباه. تساءلت إن كان يمارس أنواعاً عديدة من الرياضة. لا بد أنه يمارس أنواع الرياضة التي تحمل تحدياً ومواجهة مثل الاسكواش، لأنها رياضة سريعة ومليئة بالنشاط وتسمح له بأن يحول منافسه إلى عجينة. أما بالنسبة لآمي، فالرياضة أمر أمضت السنوات الخمس الماضية وهي تفكر بالقيام به لكنها لم تستطع.

بالكاد لاحظت أنه يقف بقربها ويفتح لها الباب لتغادر، فقالت بنبرة

ملؤها الدهشة: «أنت لن تغادر الآن. أليس كذلك؟ ظننت أنك ستسهر حتى منتصف الليل وأنت غارق بالعمل».

- ما الذي يجعلك تعتقدين أنني لن أغادر من هنا إلا لأذهب إلى مكان آخر لأعمل أيضاً؟

سألها ذلك وهو يبتسم. إنها الابتسامة الأولى التي رأتها منه، لذا شعرت بقلبها الخائن يدق بسرعة. قد يكون هذا الرجل وغداً، لكنه بدون أي شك وسيم جداً.

- في مطلق الأحوال، استمتع بوقتك!

رفعت آمي كتفيها واتجهت نحو الدرج. فوجئت عندما لاحظت أنه يحافظ على السير بمحاذاتها، ويقرب من مسافة خطواته الطويلة لتناسب خطواتها القصيرة. لاحظت أن معظم السكرتيرات غادرن مكاتبهن، إذ يسمح للجميع بالمغادرة في وقت أبكر من العادة نهار الجمعة، ومعظم العناصر الشابة تستفيد من هذا الامتياز، فهم ينشغلون بالقيام بأمور لم تنشغل بها يوماً، كالذهاب إلى الحفلات والخروج للرقص والسهر حتى ساعات الفجر الأولى.

أخذ مرض والدها المتقهقر دوماً جزءاً كبيراً من شبابها، وبدا لها أن الحياة السهلة والانغماس في فرح الشباب ضاعا منها إلى الأبد. مع أنها لم تندم مرة واحدة بسبب وصولها إلى مرحلة النضوج قبل الأوان. رمت آمي بنفسها في سوق العمل، وكان عليها أن تبرهن أنها مؤهلة وكفوءة مع أن عمرها يثبت عكس ذلك. سألته بتلقائية ما إن أصبحا على الدرج، فقط لتقول أي شيء: «إلى أين أنت ذاهب؟ أهو مكان مثير للاهتمام؟»

أجاب روكو بالتلقائية نفسها: «إلى المسرح، كي أوصلك إلى موعدك الهام».

توقفت آمي عن السير ونظرت إليه بانزعاج وتوتر: «شكراً لك، لكنني أفضل ألا تفعل».

- لِمَ لا؟

تسارعت آلاف الأسباب إلى ذهنها، لكنها بالكاد تستطيع أن تتلفظ بواحد منها. من خلال الصمت المتنامي بينهما، قال روكو متحدثاً بمنطق: «أمضينا فترة طويلة في دراسة الملفات وتلك غلطتي، لهذا أرغب في مساعدتك تعويضاً لك عن الوقت الضائع بإيصالك إلى المكان الذي تتوجهين إليه، إلا إذا كان لديك الوقت الكافي لتعودي إلى منزلك وتبدلي ثيابك. في هذه الحالة سأحتاج إلى الالتفاف حول المنطقة، لكن... أعتقد أنك لن تفعلي».

- ما من داعٍ لذلك، فأنا...

- لماذا لا تتقبلين فكرة إيصالك إلى المسرح بروح رياضية تماماً كما أجدها؟

وافقت آمي بضيق، فليس هناك أي خيار أمامها. لكن فكرة أن تتواجد في مكان ضيق ومقفل مع هذا الرجل... عدوها، أمر يجعلها تشعر بالضيق والانزعاج.

قال روكو: «من النادر أن أنتبه لمرور الوقت...».

ضغط على المفتاح الآلي ليفتح أبواب سيارة الجاكوار التي استأجرها، ثم فتح لها الباب فدخلت إلى السيارة بسرعة. ما إن أصبح في الداخل حتى استدار لمواجهتها من دون أن تظهر على وجهه أية تعابير مقروءة: «... وأتوقع من أي شخص آخر أن يتبع القواعد نفسها».

- أنا لا أراقب الساعة بشكل دائم، سيد لوسي.

توقفت آمي عن الكلام ما إن أصبحت أسيرة وجهه الغامض وهو يحرك السيارة ليتمكن من إخراجها من الباحة.

- واليوم... هل السبب هو المواعيد الثلاثة الملغاة؟ بالمناسبة، أعتقد أننا نستطيع تخطي اسم العائلة والتحدث مع بعضنا باسمينا الأولين فقط. أحاول دائماً خلق جو من الألفة مع فريق عملي. بهذه الطريقة، بإمكانهم أن يشعروا بالارتياح وهم يتكلمون معي.

لكنها لا تستطيع أن تشعر بالراحة برفقته لاسيما بعد أن أخبرها ما الذي يعتزم القيام به بمشاريعها الغالية عليها؛ إنه ينوي أن يسحقها كأنها صرصور تحت قدميه!

- ما الذي تفكر به من تغييرات بشأن الشركة؟ هل ستنشئ لها فروعاً أخرى؟

- في أية ساعة يفترض بك أن تكوني في المسرح؟

- لم تجب عن سؤالي!

رماها روكو بنظرة سريعة وأجاب: «لن أفعل. البحث في أمر مهم كهذا مع شخص واحد هو منتهى اللامبالاة. أخبريني عن صديقك... لم أتوقع أن يكون لديك صديق».

أصيبت آمي بالذهول بسبب تلك الوقاحة الصريحة لدرجة أنها نسيت كل شيء يتعلق بالعمل.

- لا أصدق أنك قلت ذلك.

رفع كتفيه وسألها: «لماذا؟»

- لأن... لأن ما قلته كان فظاً ووقحاً!

وقح ومهين ومؤلم. تابعت بغضب لأنها ما زالت تشعر بلسعة من وقاحته المتعمدة: «لكن لماذا يجب أن أتفاجأ؟ فأنت أكثر شخص فظ وبغيض التقيت به يوماً!»

- أمر مضحك. فهذه الاتهامات لم تصفني بها أي امرأة من قبل...

ضج الجو السائد بينهما بالعنف والتوتر.

- هذا يخبر الكثير عن نوع النساء اللواتي تحيط نفسك بهنَّ.

أصبح الحديث يكاد ينبئ بكارثة، لكن آمي وجدت من المستحيل عليها أن تستجمع قوتها لتبدل الحديث باتجاه العمل من جديد. أرادت بشدة أن تمسح تلك التعابير الهادئة المتفاخرة عن وجهه، فتابعت بتعالٍ: «أنا في السادسة والعشرين من عمري. صدقت ذلك أم لا، ومعظم النساء في مثل هذا العمر يفكرن بالعلاقات الجدية والاستقرار!»

للحظة تساءلت من تحاول أن تقنع، نفسها أم هو؟ بالطبع لديها صديق، لكنه لم يستطع مرة أن يشتت أفكارها عن عملها. ومن المؤكد أنها ليست من نوع الفتيات اللواتي ينغمسن في اللهو ومرافقة الشبان، لكن إهانتها ببساطة من قبل هذا الرجل وكأنها فتاة تافهة أمر لن ترضى به مطلقاً. قال روكو موافقاً بنبرة غاضبة: «بالطبع! افترضت فقط أنك من النساء اللواتي يضعن العمل في الدرجة الأولى في حياتهن».

- أنا لا أفكر فقط بالعمل.

لكن هذا ما تفعله في الواقع! اعترفت بصمت. فقد أجبرت على الاعتماد على نفسها منذ أن كانت يافعة جداً، لذا حولت كل الحاجات التي يعتمدها معظم الناس إلى علاقات في عملها. إنها في الواقع بدون روابط عاطفية مثل روكو لوسي تماماً.

- اذاً كيف يبدو هذا الرجل؟

- هل تعرف كيف تصل إلى المسرح؟ فأنت منشغل جداً بالتدخل في حياتي الخاصة لدرجة أنك قد تنتهي بإغفال المنعطفات الضرورية.

- أنا لا أتدخل في حياتك الخاصة، آمي. أنا أتحدث معك في موضوع لا علاقة له بالعمل.

طريقة لفظه لاسمها جعلتها تشعر برجفة في عمودها الفقري، لكن عندما نظرت إليه عاودها التوتر والخشية من شر مرتقب.

- أنت تريد أن تبعدني عن عملي، وتريد أن تحرمني أنا وفريق عملي من وظائفنا. كيف يمكنك أن تجلس بهدوء متظاهراً بالاهتمام بحديث عادي؟

قال روكو بحزم: «أريد القيام بما هو مفيد للشركة على المدى البعيد».

نسيت آمي حقيقة أنه رب عملها وأنها ببساطة موظفة غير ملائمة له. قالت بدون أن تفكر ملياً: «لماذا تهتم بطريقة أو بأخرى بما سيحدث لشركة لوسي للبناء؟ فأنت لم تبدِ يوماً أقل اهتمام بها من قبل!»

امتد الصمت بينهما كسلك مشدود، وقاومت آمي بشدة الرغبة في الاعتذار لأنها تخطت الحدود. لم يفارقها الاحساس بالتوتر عندما فهمت

جيداً ما قالته، وازداد قلقها عندما اندفع بالسيارة نحو جانب الطريق وأوقف المحرك.

سألته وهي تعض على شفتها وتنظر إليه بقلق: «ما الذي تفعله؟»

راقبته كمن يراقب نمراً تناول طعامه منذ قليل لكنه ما زال يرغب في المزيد. قال لها وهو يحرك جسده الكبير ليتمكن من النظر إليها: «أرغب في توسيع هذا النقاش».

شعرت آمي فجأة أنها بحاجة إلى المزيد من الأوكسجين، لكنها تمكنت من القول بتذمر: «آسفة لأنني تكلمت بغير تردد أو خشية، لكنك قلت إنك تفضل أن يناديك الموظفون باسمك الأول لكي يشعروا بالحرية للتفوه بكل ما لديهم من شكاوى أو احساس بالظلم».

- وهل لديك أنت إحساس بالظلم؟

- لديك حياتك الخاصة في نيويورك، ولم تزعج نفسك مرة بالسؤال عن والدك أو عن شركته، مع ذلك تعتقد أن بإمكانك أن تدخل كالعاصفة الآن لتحظى بالسيطرة الكاملة، ولتبدل حياة الناس إلى الأبد، ثم تعود أدراجك تاركاً كل شخص هنا يعمل جاهداً لالتقاط شظايا حياته ليتمكن من الاستمرار.

- أنت تبالغين جداً... وبشكل مأساوي.

- أحقاً؟

زفرت آمي غير مصدقة ما تسمعه، كما شعرت بالانزعاج أكثر لعدم رغبته في الشجار. اعترض روكو بلطف وهدوء: «لا رغبة لدي في طرد أي من الموظفين أو معاقبة أحد، فقط أريد تنظيم الأمور قليلاً والسبب في ذلك أن هذه هي طريقتي في التفكير. وهذا أمر مشترك بيننا، إن فكرت بذلك جيداً. كلانا عمل على تسلق سلم النجاح خطوة خطوة بألم وجهد كبيرين، ومن دون مساعدة أحد».

قالت آمي وهي تميل بوجهها نحوه: «أنا كنت مضطرة للقيام بذلك أما أنت فاخترته، كما أنك تملك ثقافتك الجامعية، أما أنا فلم تكن لدي أية

مؤهلات سوى اليأس».

- أنت وظفتِ كل ما لديك في عملك. أليس كذلك؟

لكن آمي رفضت بعناد أن تجيب. حاولت بصعوبة أن تعيد نفسها إلى الواقع لتتمسك بالعداوة والكره اللذين ملأ عواطفها نحو هذا الشيطان ذي اللسان الحاد الذي يحدق بها بعينيه الجميلتين، لكن بدا الأمر أشبه بمحاولة أن تبقى واقفة في أرض رملية متحركة.

- لهذا السبب، أنت في السادسة والعشرين، وليست لديك علاقة متينة بأحدهم...

- قلت لك...

- إن لديك صديقاً، وهو الذي تذهبين لرؤيته الليلة لتتخلصي من الاحساس بالذنب لأنك تخليت عن ثلاثة مواعيد سابقة بسبب العمل.

- لست ذاهبة لملاقاة سام بسبب إحساس بالذنب!

علا الاحمرار خديها من شدة التوتر والاحراج وهي تتساءل بضيق إن كانت طعنته العشوائية قد أصابت الهدف أكثر بكثير مما توقع. تابعت بضيق واضح: «في مطلق الأحوال، هل ستوصلني إلى المسرح أم لا؟ لأنك إن لم تفعل سأغادر السيارة على الفور وأسير المسافة المتبقية».

- هل ستسيرين مسافة ثلاثة أميال وأنت تنتعلين حذاء غير مريح بسبب كبريائك؟

- فهمتها بسرعة!

نظرت إلى البعيد وسمعته يضحك ضحكة عالية من أعماقه، ما جعل أعصاب جسمها تنتفض بقوة، لكنه بعد ذلك أدار المحرك وتابع السير، بينما انشغلت هي بتهدئة قلبها المضطرب من خلال الالتزام بالصمت. تمتم روكو بتكاسل: «من الأفضل أن تقومي بذلك بطريقة جيدة، فالرجال لا يحبون هذه الأمور كما تعلمين...»

- لا يحبون ماذا؟ النساء المستعدات للسير إذا وجدن أن هناك حاجة لذلك، أم النساء ذوات المبادئ واللواتي هنَّ مستعدات للمواجهة من

أجلها؟

- آه! بل النساء القويات اللواتي يرغبن بالسيطرة. أولئك المنشغلات بالصراخ والتحدث عن قلقهن بشأن أمور يؤمنّ بها ولا يأخذن أي وقت للاستماع إلى ما يقوله الآخرون.

- شكراً! شكراً جزيلاً على هذه النصيحة الغالية من رجل لا يعطي أي وقت للاصغاء إلى ما يقوله الآخرون، سوف أحافظ على وصيتك طوال حياتي.

قال وهو يشعر بشيء من الأسى لأنهما وصلا إلى المسرح: «بالطبع، هؤلاء النساء يشعرن بالانجذاب نحو نوع معين من الرجال».

- أخبرك أن لا مجال مطلقاً لأهتم ولو قليلاً بما ستقوله عن هذا الأمر.

- الرجال الضعفاء، رجال يستمتعون بتلقي الأوامر. رجال لا يمانعون في مواجهة المرأة لهم باستمرار.

انتظرت آمي حتى أوقف السيارة بقرب الرصيف، ثم استدارت لمواجهته وقالت: «سأترجم ذلك إلى «رجال يصغون إلى ما يحاول الآخرون قوله لهم» على عكسك تماماً. أنت تريد إلغاء ما أقوم به ومساهمتي في الشركة من دون أن تزعج نفسك بإلقاء نظرة على التفاصيل. ألقيت نظرة واحدة على الموازنة وقررت أن ليس هناك أي أرباح لهذا يجب إلغاء هذه المشاريع. إذا كان هذا دليل على الرجل القوي، إذاً بصراحة، أعتقد أنني أفضل الرجال الضعفاء».

شعرت آمي بالفخر من الكلام الذي قالته والذي ينبع من أعماق قلبها. قالت ذلك بنبرة هادئة وبشخصية متماسكة. إن كانت هذه هي فكرته عن الحديث المهذب الذي لا يتعلق بالعمل سوف يفاجئها أن تعلم أن لديه أي حياة اجتماعية على الإطلاق!

- عن أية تفاصيل تتحدثين؟ يمكن لأي كان أن يكتبها في قائمة صغيرة، ومعظمها تحت عنوان الواردات.

- حسناً! يمكنك أن تأتي وترى بنفسك ما الذي نفعله!

فتحت آمي باب السيارة وخرجت، ثم مالت إلى الأمام لتتابع وهي تنظر إليه: «أم أنك من أولئك الرجال الأقوياء الذين يرفضون التزحزح عن كلمتهم ما إن ينوون اتخاذ قرار ما؟»

علم روكو أن عليه أن يسلم زمام الأمور لها، فهي لن ترضى بالهزيمة ببساطة. لكنها في نهاية الأمر لن تربح، فهناك الكثير من الحقائق القاسية المكدسة ضدها، سواء رغبت في تصديق ذلك أم لا. لكنه لا يرضى بألا يكون عادلاً. سيذهب ويلقي نظرة على مشروعها الانساني، وعندئذ لن يتمكن أي شخص من اتهامه بأنه عنيد ومتصلب برأيه عندما يجبر آسفاً على إنهائه.

٣ - جولة في الميدان

كانت المسرحية رائعة، تبعها تناول العشاء برفقة سام. أخطأت آمي بالتحدث معه عن الأخبار الجديدة للشركة وما سيحل بعملها من جراء ذلك، ما اضطرها إلى سماع آرائه المتعلقة بحقوق الإنسان لمعظم الوقت وهما يتناولان البيتزا. حماسه الشديد نحو الآخرين هو ما جذبها إليه منذ ثلاثة أشهر مضت، لكنها الآن تشعر بالارتباك والفتور.

قالت آمي مفسرة له: «لا أعتقد أنه يهتم كثيراً بمفهوم مساعدة المحتاجين».

علق سام وهو يطلق زفرة: «مغولي نموذجي! قابلت العديد من هؤلاء الأشخاص. هم لا يهتمون إلا بجمع المال، وهم قادرون على إسقاط قنبلة على مجمع سكني إن اعتقدوا أن بإمكانهم بناء منازل فاخرة يحتوي كل منها على خمس غرف نوم، وبيعها بأسعار خيالية إلى أشخاص ساذجين».

ابتسمت آمي محاولة التخلص ولو بشكل جزئي من إحساسها بالتوتر والضيق: «حسناً! ربما ليست الأمور مأساوية إلى هذه الدرجة».

يعمل سام في مؤسسة تهتم بشؤون الجماعات الفقيرة. التقت آمي به صدفة أثناء عملها على مشروعها السابق فتوافقا على الفور. وجدا أن هناك الكثير من الأمور التي تجمعهما، لا سيما عندما يتعلق الأمر بميلهما الطبيعي نحو الخير. تطورت صداقتهما، وبدت آمي سعيدة لكنها لا تعلم بالتحديد إلى أين سيصلان. قد لا يكون سام أكثر الرجال وسامة بين الذين رأتهم في حياتها، فشعره ناعم أشقر اللون وعيناه

زرقاوان باهتتان، لكنه شخص لطيف يسهل التعامل معه، كما أنه يهتم بشدة بكل الأشياء التي تثير اهتمامها.

نظرت إلى وجهه اللطيف الودود، وعلى الفور لاح أمام عينيها وجه أسمر البشرة أكثر خطورة.

بدأ سام بالتحدث عن رجال الأعمال المترفين الذين التقى بهم عبر السنين وعن المجهود الذي بذله لجعلهم يهتمون بالجماعات، بينما عمل بنشاط على إنهاء ما في طبقه من البيتزا.

قالت آمي وهي تخنق تثاؤبها: «أنا متعبة جداً لأفكر بذلك الآن. في مطلق الأحوال، وافق على الذهاب معي ليلقي نظرة على عملنا الحالي. ربما أستطيع تبديل رأيه».

- ماذا إن لم تستطيعي؟

طلب فنجانين من القهوة من دون أن يسألها إن كانت ترغب في شرب القهوة، وجلس بارتياح ما إن أحضرت القهوة إلى طاولتهما. أما آمي فسيطر ثقل يومها المتعب عليها. رغبت في وضع رأسها بين يديها لتنام قليلاً. انشغل سام بتعداد المنافع التي تجنيها من عملها، بينما انشغلت هي بالتفكير بما ستكون عليه ردة فعل روكو عندما يجد نفسه مرهقاً وهو يتجول حول المواقع برفقتها. هل سيشعر بالملل؟ هل سيتظاهر بالاهتمام؟ إنه رجل أعمال ناجح بشكل منقطع النظير، وسيتظاهر بالاهتمام كأبرع ممثل. راحت تتخيله بتعابيره التي يتناوب عليها الملل وسرعة الغضب، لذا لم تنتبه إلا إلى خاتمة ما كان يقوله سام: «. . . أقصد، لن يكون هناك حاجة للحصول على عمل يتطلب منك كل هذا الوقت. ربما يمكنك العمل بدوام جزئي، أو ربما كمتطوعة. .».

- سام، أنا لا أعلم عما تتكلم. آسفة! أنا متعبة جداً، وأفكاري تائهة على بعد ملايين الأميال.

بدا سام منزعجاً، فلمعت برأسها فكرة مفادها أن هذه إحدى صفاته غير المحببة لديها. إنه لا ينفعل أو يغضب بشكل فعلي، لكنه يصبح نكداً

ومتجهم الوجه عندما لا تسير الأمور كما يرغب. قال بنبرة حازمة ومؤكدة: «كنت أقول إنه يمكننا أن نتقدم خطوة إلى الأمام بعلاقتنا».

- خطوة... إلى الأمام؟

التقطت فنجان القهوة الذي طلبه بالرغم عنها. لم تكن ترغب في شرب القهوة، أما الآن فبدت فكرة رائعة أن تركز على رشفه.

- أعتقد أن علينا أن نعقد خطوبتنا.

- تعتقد أن علينا... أن نعقد خطوبتنا؟! أبَعد ثلاثة أشهر فقط من تعارفنا؟

قال سام بنكد ومشاكسة: «معرفة شخص ما لسنوات لا تعني بالضرورة زواجاً ناجحاً. أنا في الثامنة والثلاثين من عمري وأريد أن أستقر آمي، وأعتقد أنني وجدت الفتاة المناسبة التي أرغب في عيش حياة مستقرة معها. فتاة تشاركني اهتماماتي، وتستمتع بالأمور البسيطة في الحياة».

مدّ يده وأمسك بيدها وهو يتابع: «نحن نتفق كثيراً. أليس كذلك؟»

- بالطبع! نحن نتفق.

وافقت آمي وهي تحاول جاهدة أن تجد في اقتراحه أي عاطفة أو إحساس. ضغطت على يده قليلاً قبل أن تسحب يدها وهي تقول: «لكنني لا أريد أن أتسرع في أمر كهذا».

- عديني أنك ستفكرين بالأمر.

- بالطبع! لكنني ما زلت في السادسة والعشرين من عمري.

حاولت أن تتخيل نفسها زوجة لسام. لا بد أنه سيكون زوجاً جيداً. إنه قوي ويمكنها الاعتماد عليه، وسيصبح يوماً ما والداً محباً وحنوناً. كما أن هناك الكثير من الصفات المشتركة بينهما.

- الوقت لا ينتظر.

ها قد لجأ إلى الأفكار المبتذلة الشائعة! عاوده المرح عندما بدل الحديث، وأخذ يتحدث عن المسرحية، ويقارنها بمسرحية أخرى لشكسبير

شاهداها معاً منذ شهرين. مع ذلك، لم تفكر آمي أنه سيتخلى عن فكرة الزواج بها، أو أنها ستتمكن من الاستمرار في علاقتهما الهادئة وغير المتطلبة.

* * *

لم تندهش لعدم اهتمام روكو بالقدوم إلى مكتبها حتى يرى تقدم مشروعها. ربما صمته وسيلة واضحة ليقول لها إنها مهما فعلت فلن تستطيع الاحتفاظ بالمشروع، لذلك ما الغاية من إزعاج نفسه بالذهاب معها إلى أي مكان؟

تحسنت صحة أنطونيو قليلاً، لدرجة أنه بات يستطيع الآن المشاركة في حديث ما لعدة دقائق، لكنها لم تحلم حتى بالتحدث معه عما يحدث في الشركة، لأن الأطباء أكدوا لها أنه بحاجة إلى الابتعاد عن أي ضغط غير ضروري. تمكنت آمي من الحصول على ساعة فراغ بعد الغداء فذهبت لزيارته. أجبرت نفسها على وضع ابتسامة مشرقة على وجهها وتظاهرت أن كل شيء على ما يرام. شعرت أن ما فعلته يستحق العناء لأنها رأت الارتياح والفرح على وجهه. وفقط عندما قررت المغادرة سألته بعفوية إن كان يشعر بالسعادة لعودة ابنه إلى البلاد الآن، وإن كان هناك جسور من التفاهم بينهما.

ضحك أنطونيو مستهزئاً وقال: «تفاهم؟ لا شيء من ذلك مطلقاً. لم أره لأكثر من خمس دقائق في المرة الواحدة. إنه يأتي إلى هنا بشكل رسمي ليتأكد أنني لم أمت أثناء الليل».

ما سمعته بدا كافياً ليدفعها إلى الاتصال بروكو كأول عمل لها في صباح اليوم التالي. قالت بصورة مباشرة: «أتمنى ألا تكون قد نسيت وعدك بالذهاب معي لإلقاء نظرة على عملي».

تراجع روكو إلى الوراء في كرسيه، وضغط سماعة الهاتف إلى أذنه وهو يبتسم. لم ينسَ ذلك أبداً. كل ما في الأمر هو أنه قرر أن بضعة أيام من الصمت ستعطيها مهلة لتفكر بما سيحدث. كما أنه يعلم أنها

ستتصل به عاجلاً أم آجلاً. فهي وإن كانت لا تملك أي صفة أخرى، فلا بد أن العناد ميزتها الأساسية. أدار كرسيه حتى أصبح مواجهاً للنافذة بحيث يتمكن من رؤية المنظر الممتد أمامه، ثم سألها: «هل استمتعتِ بمشاهدة المسرحية؟»

- أجل، إنها مسرحية رائعة. شكراً لك. هل كنت جدياً عندما وافقت على الذهاب معي لرؤية مشروعي الحالي أم أنك تسخر مني؟

- آه! أجل. سأتفحص مفكرتي لأرى إن كنت أستطيع تحديد موعد لذلك...

- هناك موعد مع السكان المحليين عند الساعة الثامنة من مساء الغد، وهذا سيكون أفضل موعد. بإمكانك مقابلة الناس وجهاً لوجه، فترى الأشخاص الذين ستتبدل حياتهم من جراء ما نقوم به. يمكنك التحدث إليهم، وربما ستشعر فعلاً بأهمية ما نقوم به على الأرض.

قبل أن تتابع، قاطعها روكو قائلاً: «حسناً!»

هناك عشاء عمل للمدراء المحليين عند الساعة السابعة والنصف في أحد الفنادق. إنه موعد عشاء حاسم، لكنه سيرسل مارتينز مكانه. اللقاء يتعلق بالشركة، لكن التحدث أثناء تناول طعام عادي إلى أشخاص لن يتعامل معهم في المستقبل أمر لا يشجعه على الذهاب، كما أن...

دفع روكو بساقيه الطويلتين نحو حافة النافذة، وفكر بوجه متحمس جداً، مغطى ببعض النمش وعينين تقدحان شرراً ولساناً يجاريهما...

- سأقلك من منزلك عند الساعة... السابعة أم السابعة والنصف؟

- ما من داع لذلك.

- هل استعدت سيارتك من الصيانة، أم أنك ترغبين في ترك كبريائك يسيطر عليكِ ويجبرك على التنقل في المواصلات العامة؟

- تعال عند الساعة السابعة والربع.

أعطته آمي عنوان منزلها الواقع في منطقة وسطى بين مكتبه وقلب المدينة. عادت لتسأله بصراحة: «لا بد أنك ستأتي. أليس كذلك؟»

- آه! سآتي بدون شك. لكن... فقط لمجرد الفضول، ماذا ستفعلين إن لم أحضر؟

- سيخيب أملي، لكنني لن أبكي. سأذهب إلى اللقاء بمفردي.

فكر روكو وهو يبتسم بكسل، كلام مؤثر! عمل على الفور على انتداب من يحل مكانه، ووجد نفسه يتطلع باهتمام إلى التجول معها في المشروع الذي سيكون آخر مشروع لها.

* * *

- أنت تعيشين في بلاد الأحلام إن كنت تعتقدين أن لديك فرصة ولو ضئيلة بتغير ما يفكر به الرجل.

هذا أول ما قاله لها سام عندما اتصلت به عبر الهاتف بعد ظهر ذلك اليوم لتخبره كيف ستمضي الأمسية. خنقت آمي تنهيدة من الغضب، وسارت نحو غرفة الحمام وهي تحمل الهاتف بيدها.

- أفضل أن أكون متفائلة.

- إذاً حضري نفسك لخيبة أمل كبيرة، آمي. أخبرتك أنني قابلت العديد من الرجال أمثاله عندما عملت في قسم الودائع المصرفية.

فكرت آمي بتكاسل أن لا مجال لأن يكون سام قد التقى بأي شخص يشبه روكو لوسي في حياته كلها، لكنها تراجعت عن ذكر تلك الملاحظة. شعرت بالامتنان له لأنه لم يتحدث عن الموضوع الذي فاتحها به منذ أيام قليلة، محترماً رغبتها في التفكير ملياً بطلبه الزواج بها، وهو الأمر الذي لم تفكر مطلقاً به. تركته يتحدث عن أمور كثيرة وقد فقدت القوة لتجادله. شعرت بالامتنان عندما أعادت سماعة الهاتف أخيراً إلى مكانها بعد خمس عشرة دقيقة، ثم صعدت إلى المغطس.

صوت قلق في أعماقها أخبرها أن سام لا يمانع كثيراً إن فقدت عملها. ضحكت من نفسها بسبب هذا التفكير، لأنها تعلم جيداً كم أن سام طيب ولطيف. على العكس من روكو لوسي الذي لا يعرف أي تصرف لطيف.

قبل نصف ساعة من وصوله، وبينما كانت آمي بانتظاره، راح جزء صغير

منها يقول إنه لن يحضر. لهذا بدا من الصعب أن تفهم لماذا راحت تعمل بعناية واهتمام على مظهرها. ارتدت سروال جينز بالطبع، لأنها ستكون حمقاء بالفعل إن حضرت لقاء للمقيمين في أحياء شعبية وهي مرتدية بذلة، لكن بدلاً من أن تنتعل حذاء رياضياً انتعلت حذاء ذا كعبين عاليين لكنه مريح ويظهرها أكثر أناقة. تخلت عن قميصها القطنية العادية الفضفاضة وارتدت قميصاً ضيقة يناسب لونها لون الحذاء الجلدي، ثم سرحت شعرها حتى توهج من شدة اللمعان ومررت أحمر الشفاه على شفتيها. أصبحت جاهزة ومنتظرة في اللحظة التي قرع فيها الباب عند الساعة السابعة والربع بالتحديد، ما جعلها تفكر أنه بارع جداً في توقيت رحلته.

- هل تفاجأت برؤيتي؟

هذا أول سؤال طرحه روكو عليها ما إن فتحت الباب وسارت إلى الخارج. لاحظت أنه يرتدي ثياباً تناسب الطقس؛ سروالاً كاكي اللون مع سترة من القطن سوداء اللون. بدا أكثر وسامة وجاذبية بعيداً عن ثياب العمل الرسمية، ووجدت آمي نفسها غير قادرة على التكلم لعدة لحظات، ثم عادت أفكارها إلى الواقع فأغلقت بابها بهدوء ثم أقفلته بالمفتاح.

- لا، على الإطلاق! علمت أنك تريد أن ترى ما نفعله قبل أن تتخذ قراراً نهائياً بشأن عملنا.

سارا نحو السيارة، وفجأة توقفت عن المسير وهي تقول مندهشة: «هل أتيت بهذه؟»

بدت سيارته الجاكوار مثل منارة مشعة بين السيارات القديمة المركونة عند حافة الطريق.

سألها روكو بتهذيب: «وبأية سيارة توقعت أن آتي؟»

- لم أفكر بالأمر. لا يمكنك أن تأخذنا إلى هناك بهذه.

- ولِمَ لا؟

بدا صوته نافد الصبر، لكن آمي بقيت مكانها وقد شبكت ذراعيها فوق صدرها.

قال مفسراً لها: «لربما نسيتِ أنني أوصلتك إلى المسرح بهذه السيارة. إنها سيارة سريعة ولا تتعطل إلا نادراً، ولن تتعرض لأي مشكلة أياً كان المكان الذي نقصده».

راحت آمي تحدق بالسيارة وكأنها مغلفة بمرض معد خطير، ما جعل استياءه يتضاعف. أليس من المفترض أن تتأثر النساء بالسيارات السريعة الأنيقة؟

- فقط اصعدي إلى السيارة. هل يمكنك القيام بذلك؟

قالت آمي وهي تنظر إليه بثبات وحزم: «نحن ذاهبان إلى منطقة محرومة. لذا أولاً، أعتقد أن ليس من المناسب أن نصل إلى هناك بهذا النوع من السيارات. ثانياً، سينتهي بك الأمر إلى التعرض للسرقة».

- ثالثاً...؟

نظر روكو حوله كأنه يبحث عن شيء ما، ثم أعاد نظره إلى وجهها بعناد وتابع: «ليس هناك أي سيارة بانتظارنا لنذهب بها إلى الموعد كما أرى، لذلك ليس هناك من مجال إلا الذهاب بهذه. أما الخيار البديل أمامك فهو أن أغادر الآن وأتركك هنا، لتذهبي بمفردك إلى اجتماع السكان المحليين، وهكذا يمكنك أن تنسي كل ما تفكرين به بشأن ذهابي معك في وقت آخر لرؤية مشروعك هذا».

أجبرها كلامه على التوقف عن الجدال على الفور وبشكل نهائي. رفعت آمي كتفيها، ثم فتحت باب السيارة وهي تقول: «حسناً! لكن لا تلقِ اللوم علي إن حدث لها شيء ما».

أكد لها قائلاً: «لن أفعل».

دخل روكو إلى السيارة وأدار المحرك، ثم تابع: «والآن، ارشديني إلى وجهة السير، لنذهب وننتهي من هذا العمل».

- أنا لست مجبرة على إعطائك دواء كريهاً، سيد لوسي...

- توقفي عن مناداتي باسم عائلتي.

- آه! آسفة. نسيت أنك تفضل التقرب غير الرسمي. اتبع هذه الطريق

مباشرة حتى نصل إلى المنعطف.

– اذا كان مجلس المنطقة في مكان خطير هكذا، فكيف يمكنك الذهاب إلى هناك؟

سألها روكو بفضول، فالنساء اللواتي يعرفهن ليس لديهن أي طموح في اكتشاف مناطق لسن معتادات عليها. ألقى نظرة سريعة على المرأة الجالسة بجانبه، وشعر بالصدمة عندما أدرك أن عينيه لا تريدان مفارقة وجهها وعنقها الجميلين.

– أشعر بالراحة هناك. حسنا! ربما في معظم الأوقات. لكن ما كنت لأتمكن من القيام بعملي لو أنني أخاف التجول.

– ألا يشعر صديقك بالقلق عليك؟

– بالطبع لا!

نظرت آمي إليه مندهشة، وسألته: «لماذا عليه أن يشعر بالقلق؟»

– اعتقدت أن ذلك أمر واضح، فامرأته تقوم بعمل يدفعها للذهاب إلى أماكن... من المحتمل أن سيارة أنيقة كهذه قد تسرق فيها!

امرأته! ما هذه الكلمة القديمة الطراز التي تدل على تعصب وتملك مربك؟ إنها تكره هذا النوع من الكلمات بشدة، لكن عندما تلفظ بها روكو بالذات جعلها تشعر بإحساس من الأنوثة يسيطر عليها.

– أنا قادرة تماماً على الاهتمام بنفسي. كما أنني لست من النوع المتعلق بالآخرين.

ترجم كلامها في رأسه إلى أنها من النساء الثائرات. لا بد أنها من النوع الذي يفعل كل ما يستطيعه ليتجنبه إلا في قاعات الاجتماعات، لأنهن قادرات وقاسيات مثل الرجال.

نظرت آمي إليه بعينين ضيقتين وتابعت: «يعلم سام أنه لا يحتاج إلى الالتصاق بي طوال الوقت مثل الدجاجة التي ترعى صغارها».

– حتى عندما تأخذك هذه الأعمال إلى مناطق خطيرة؟

– نحن لا نتحدث عن الذهاب إلى الجبهات الأمامية في المعارك

والحروب.

قالت ذلك بسخرية واضحة ما دفعه إلى الابتسام. تساءلت، هل يعلم كم يبدو وسيماً عندما يبتسم! لا بد أن لديه الكثير من الصديقات المقربات. فكرت آمي كيف تراه يتصرف معهن، عندما يستعمل كل هذا السحر الذي يكبته بحزم في كل مرة يجد نفسه برفقتها. تابعت قائلة: «في مطلق الأحوال، المسألة بحاجة إلى المنطق، فأنا لا أذهب إلى أي اجتماع في أماكن مغلقة في الشتاء وأثناء الليل، أو إلى أماكن لا أزورها في النهار إلا مع فريدي أو تيم».

– فريدي الشاب الذي يعمل معك، والذي يربط شعره كذيل الفرس؟

– فريدي هو المسّاح الذي نال أعلى علامات في الامتحانات الرسمية في البلاد، بالإضافة إلى عشرين طالب آخرين. عندما تصل إلى المنعطف التالي، عليك أن تنحرف نحو اليسار، ثم تسير على الطريق حتى نهايتها. يقع المجلس إلى يسارك تماماً.

ما إن انعطف حتى وصلا قرب شجيرات منتشرة هنا وهناك، بينها شجرة كبيرة من نوع غريب. بدأت الشمس بالمغيب، لكن لم يكن هناك أي شك بأن المباني الصغيرة الواقعة هناك وزعت بشكل عشوائي، بحيث لا يتشجع أي كان على البقاء هناك طويلاً.

يعيش روكو في شقة في مبنى مرتفع أكثر من كل هذه المباني المبنية من الاسمنت، لكن هنا ينتهي كل مجال للمقارنة. فهو يستمتع جداً بالحياة الفاخرة الرائعة التي يؤمنها له المال، والمال الوفير فقط. فالخدمة مؤمنة على مدى الأربع والعشرين ساعة، وهناك قاعة استقبال مميزة في الطابق الأرضي، كما أن هناك مصعداً خاصاً به، ونادياً لمختلف أنواع الرياضات يحتل طابقاً بأكمله.

– أين تقترحين عليّ أن أضع السيارة؟

حاولت آمي ألا تتكلف بابتسامتها، لكنها فشلت وهي تقول: «يقع المدخل في الناحية الخلفية... كما أنني حذرتك بشأن السيارة».

- هذا لا يعني أنك لا تحلمين بالقول: «قلت لك ذلك».

استسلم روكو للنصر الذي حققته بدون أي ضغينة. خلال الساعة التالية راحت آمي تمزح بسهولة مع زمرة من اثني عشر مراهقاً تحلقوا حول السيارة ما إن أوقفها. سألتهم جميعاً عن أحوالهم، وعرفته عليهم جميعاً بأسمائهم، ثم قدمته لهم. لم يشعر روكو أن باستطاعته الوثوق بهم في ما يتعلق بسيارته، لكنه اعترف بالرغم عنه أنهم يبدون متأثرين بنوعها وجمالها أكثر مما يبدون راغبين في ترك آثار خراب عليها.

وجد أن فريدي واثنين من أفراد فريق العمل قد سبقوهما إلى قاعة الاجتماع. ساد جو من النقاش الحامي في القاعة مع مشاركة فعالة من كل شخص من المقيمين في المنطقة الذين حضروا الاجتماع، والذي يبلغ عددهم حوالى الثمانين شخصاً. ترأست آمي الاجتماع، أما مارسي فدونت الملاحظات، وبالكاد رفعت رأسها لترى ما الذي يجري حولها. ما إن قارب الاجتماع على الانتهاء حتى سمع آمي تقدمه بصوت عالٍ لكل شخص هناك.

وقف روكو طالباً الانتباه الكامل الفوري من الحشد الصامت، ثم رماها بنظرة لطيفة أجابت عليها بلمعان مشرق من عينيها كأنها تقول: أنا لا أعلم ما الذي تقصده.

سنوات من الخبرة في التحدث في الأماكن العامة دفعته للعمل فوراً بدون أي تردد ما إن يدخل أي اجتماع. فقد تحدث في قاعات مليئة بأشخاص عظماء وماهرين جداً في الأعمال، وعقد اجتماعات حضرها كبار رجال الأعمال في العالم، رجال أصغوا إليه باهتمام وانتباه، لكنه لم يتحدث مطلقاً أمام حشد معظمه من النساء اللواتي يصطحبن أطفالهن معهن. تركت آمي أمر القيادة له، وكان على قدر المسؤولية. لاحظت باستغراب أن هناك أملاً ما. تحدث روكو بطلاقة عن الحاجة إلى التطور والتطلع إلى الأمام دائماً، وعن ضرورة تضافر كل الطاقات مهما كانت الأجواء سلبية للوصول إلى النور في نهاية النفق. لم يصفق له أحد، فليس

ذلك من عادة هؤلاء الناس، لكن صمتهم بدا كافياً. فلو لم يؤثر بهم ما سمعوه لغادروا على الفور بدون أي لحظة تردد. ما إن تفرق الجميع وأصبحا بمفردهما من جديد قال: «شكراً لك على كل ما فعلته».

أثناء الوقت الذي أمضياه في الداخل حل الظلام وغادر المراهقون. بدا أن السيارة ما زالت قطعة كاملة، فلم تختفِ منها أي عجلة أو غطاء عجلات.

قالت آمي بصدق وحرارة: «قمت بعمل جيد حقاً».

- وإحساسك بالضبط، هل هو... خيبة أمل كبيرة؟

- آسفة، لكنني لم أستطع مقاومة ذلك. هل تعرف كيف نخرج من هنا أم علي أن أرشدك إلى الطريق؟

- لا شيء يضاهي الاندفاع بحماسة من قبل شخص غير مقتنع. أليس كذلك؟

ضحكت آمي بارتياح فهي تشعر بالنشاط والفرح يسيطران عليها عندما تنشغل بعملها.

- وهل اقتنعت الآن؟ هل قصدت فعلاً ذلك الكلام الذي قلته عن الارتقاء ومحاولة بناء شيء ما بينما كل شيء ينهار من حولك، أم أنك قلت ذلك لأنك وجدت نفسك في وضع محرج؟

- ما تخططين للقيام به لن يحول هذا المكان إلى منطقة راقية خالية من الجرائم ومليئة بالنشاط والحماس، حيث سيرغب المراهقون فجأة في أن يصبحوا أطباء ومعلمين.

- يا إلهي! لماذا أنت متهكم؟

- أنا لا أسمي هذا تهكماً بل واقعية. سأصطحبك لتناول الطعام الآن. أي نوع من الطعام ترغبين في تناوله؟

فكرة الخروج معه لتناول الطعام ملأتها بالحماس على الفور. شعرت كأن الدم يتدفق بسرعة أكبر في عروقها، لكنها قالت: «شكراً لك. أفضل أن تعيدني إلى المنزل، فالوقت متأخر وأنا متعبة».

فكرت بسام ولو متأخرة. لا بد أنه سيتعرض لنوبة مرض إن علم أنها ستتناول العشاء مع عدوها.

- هل تناولت الطعام؟

قالت باقتضاب: «تناولت شيئاً ما في وقت مبكر».

- في وقت مبكر... متى؟

- أثناء تناول الغداء. أيرضيك هذا؟

- ألم تتناولي أي طعام منذ ذلك الوقت؟

- اسمع، روكو...!

استدارت حتى تواجهه، وهي جاهزة لافتعال شجار لتخفي الحماس الشديد الذي تشعر به بسببه. بدا عرضه أن يأخذها إلى مطعم ما لتناول الطعام منطقياً، لكن عندما تخيلت وجه سام إن علم يوماً أنها رافقته إلى مطعم ما جعلها هذا تشعر بالذنب. تابعت: «أنا لست جائعة. قمنا بالعمل الذي أتينا إلى هنا لأجله. رأيت بنفسك ما الذي نفعله، وتحدثت إلى المقيمين في المكان، أما الآن فقد حان الوقت لأعود إلى المنزل. غداً سأرسل لك نسخة عما جرى النقاش به في تقرير مفصل، وأتمنى أن تزعج نفسك بقراءته».

هذا الرجل يريد أن يلغي كل ما تهتم به، وكل ما عملت بجهد كبير طيلة سنوات كي تبنيه. فكيف يمكنها أن تشعر بالانجذاب نحوه؟ كرهت نفسها بسبب هذا الضعف الذي تملكها.

قال روكو بهدوء: «لست موافقاً على ذلك».

ثم تبع الإشارات التي توصل إلى قلب المدينة.

- كيف تجرؤ...؟

- أولاً، لأن هذه سيارتي وأنا من يقودها. ثانياً، ربما أنت لا تشعرين بالجوع لأنك تذوقت شيئاً ما منذ عدة ساعات، لكنني جائع جداً. لهذا ستتناول العشاء. وإن لم تقولي ما الذي تفضلينه...

رأى إشارات لمواقف السيارات، فانحرف نحو الموقف وهو يتابع: «... عندها ستوافقين على ما أختاره، وأنا الآن أرغب في طعام إيطالي».

تجاهل ببساطة شعورها بالضيق بسبب توليه زمام الأمور.

- خذني إلى البيت حالاً!

- توقفي عن التصرف كطفلة.

دمدمت آمي، ولم تجد الكلمات المناسبة لترد عليه.

- سأصطحبك لتناول العشاء لأن أياً منا لم يتناول أي طعام لساعات مضت، والآن أصبحت الساعة التاسعة والنصف. كما أنني لا أشكل لك أي تهديد مهما كان نوعه.

كلامه جعلها تشعر بإحساس مربك من جديد، فقالت: «لا أعتقد أن سام سيرضى إن علم أننا نتناول العشاء معاً».

بالطبع هو لن يغار، فهذا أمر لا يثير اهتمامه على الإطلاق، إنه ليس من هذا النوع من الرجال، وهذا أمر جيد لأنه دليل على الثقة المتبادلة بينهما. لكنه لن يرضى عن ذلك لأنه يشعر أن عليها أن تبقي روكو بعيداً عنها، فهناك «هم» و«نحن»! هذا ما قاله لها أكثر من مرة.

- أحقاً؟

أوقف روكو السيارة في مكان فارغ ثم استدار لينظر إليها. رفع حاجبيه متسائلاً وهو يتابع: "لكنني اعتقدت أنه رجل متحرر وليس من النوع المتملك الذي يلتصق بك كما تفعل الدجاجة مع الفراخ؟

حدقت آمي به بغضب، ثم استدارت مبتعدة وأغلقت الباب بقوة وراءها ما إن خرجت من السيارة.

قال روكو بإصرار وقد أظهرت نبرة صوته المرح والتسلية: «ماذا تقولين؟»

قالت وهي ترفع رأسها عالياً: «أعتقد أن سام يفضل لو أنني أتناول العشاء معه».

- من السهل جداً تنظيم ذلك. لمَ لا تتصلين به وتدعينه لينضم إلينا؟ الطريقة الأفضل هي أن أتصل به بنفسي في حال تولد لديه أي انطباع خاطئ في أنني قد لا أرغب في حضوره. في الواقع...

www.elromancia.com

أخرج هاتفه النقال من جيبه وهو يتابع: «أحب أن ألتقي بصديقك، لأنني أحبذ فكرة معرفة الكثير عن الموظفين لدي وليس فقط التفاصيل العملية. هكذا أستطيع التعامل معهم كأشخاص حقيقيين لا كمجرد عمال لا هوية لهم».

أدرك روكو أنه لا يكذب. فهو يشعر بفضول ملفت للنظر بشأن الرجل الغامض الذي ترفض المرأة التي تسير برفقته إعطاء أي معلومات عنه. فالنساء يرغبن عادة في التحدث بشكل دائم عن الرجال الذين يحبونهن، كما أنهن يتباهين بالخواتم الماسية في أصابعهن، ويسرن دائماً والنظرات الحالمة في عيونهن وملامح من النعمة والفرح تبدو على وجوههن.

يبدي روكو اهتماماً بالغاً بكل موظفيه، وقدرته على تذكرهم لا حدود لها، كما يبدي قلقه بصورة خاصة على أعضاء فريقه من الجنس اللطيف.

- لا بأس بالطعام الإيطالي.

حاولت آمي أن تتخيل كيف يمكن أن يكون اللقاء بين روكو وسام، ووصلت إلى استنتاج بأن روكو سيأكل سام حياً. وبما أن هذا النوع من الرياضة قد انتهى منذ زمن بعيد، فلا رغبة لديها برؤيته من جديد. أصبحت في وضع لا يسمح لها بمتابعة المطالبة بالعودة إلى المنزل.

خرجا من موقف السيارات ليجدا أن الهواء منعش وبارد، وأن رائحة الصيف منتشرة حولهما. فالناس محتشدون في كل مكان جماعات وأزواجاً، وجميعهم يضحكون ويتسامرون براحة في هذا الوقت من المساء. من الواضح أن هذا المكان هو مركز المطاعم وحياة الليل.

شعر روكو بالرضى لتخليها عن موضوع صديقها، لأنه إذا استمر في المطالبة بحضور هذا الأخير، فسوف تتراجع بسرعة أكبر، لاسيما أنها تعلم أن اهتمامه نابع فقط من فضول مطلق. بدلاً من ذلك، سألها عن المكان فانبرت آمي تحدثه عن التغييرات التي طرأت عليه. بدت سعيدة بتبديل الموضوع وأنهت كلامها بالقول: «ألم تشعر يوماً بالرغبة في زيارة المكان طوال السنوات العشر الماضية؟»

- لا!

كلمة من مقطع واحد لفظها بحسم نهائي، ما دفعها لترفع رأسها وتنظر إليه بدهشة.

- آه! آسفة. موضوع حساس... فهمت ذلك.

قال بحزم: «أجل، صحيح».

دفعها نحو أول مطعم إيطالي مرا أمامه، لكنه اكتشف أن ليس هناك أي طاولة فارغة على الأقل لمدة نصف ساعة. قال باقتضاب: «سننتظر».

ثم أدار وجهه لينظر إلى وجهها مباشرة. قال لها بحزم وبعينين ضيقتين: «إذا كنت لم تفهمي ما قلته؛ لا علاقة لك مطلقاً بحياتي الخاصة».

انتظرت آمي حتى طلب لهما شراباً منعشاً، ثم علقت قائلة: «وحياتي الخاصة كذلك».

رماها روكو بنظرة غاضبة وقد تجهم وجهه. قال بنبرة مهددة: «لا أستطيع أن أتذكر أنني سألتك أي سؤال خاص جداً».

ثم قرر أن ينتقل بالحديث إلى موضوع آخر أقل حساسية وعدائية فقال: «كما أنني أجد النساء المتطفلات والفضوليات مزعجات جداً».

قالت وهي تشعر بالمرح من الاحساس الذي سيطر عليها: «آه، يا إلهي! متطفلات وفضوليات، أكل هذا بسبب سؤال بسيط جداً؟»

حدقت بحزم وبجدية به لترى أن نظرة عينيه الزرقاوين ترسل لها موجة من الفرح والارياك معاً، فسارعت ترتشف الشراب.

- هذا صحيح. لاسيما أن السؤال وقع على الموضوع غير المناسب.

روكو لم يقدم مطلقاً على بحث ماضيه مع أي كان، والنساء القليلات اللواتي حاولن أن يتقربن منه أكثر بإبداء اهتمامهن بماضيه واجههن جدار قاسٍ أجبرهن على التراجع الفوري. بدا صاحب طبع قاس جداً وهو يحدق بها ويلاقي نظراتها من دون أي تردد أو إجفال. إنها لا تشبه أياً من النساء المترفات اللواتي اعتاد على مرافقتهن، لكنه ما زال رئيسها، ومن المؤكد أنه سيعمل على حسم أي أمر إن قرر لسانها الانحراف نحو الاتجاه الخاطئ.

٤ ـ معاً في منتصف الليل

أنهت آمي شرابها وهي تفكر بمذاقه الشهي، وتمنت لو أنها تستطيع الحصول على المزيد. أثناء هذا الوقت جاء نادل ليرشدهما إلى طاولتهما. قالت ما إن جلست بارتياح: «إذاً، دعني أفهم ذلك بوضوح. أنت لا ترغب بالنساء الحازمات، بل تفضل أن تتصرف كرجل من العصور القديمة ينظر إلى النساء كممتلكات له، بالإضافة إلى أنك لا تسمح لهن بطرح أسئلة شخصية».

وجد روكو نفسه في أحد المواقف القليلة التي يمر بها في حياته حيث لا يجد مطلقاً ما يقوله، فاستغلت آمي الفرصة لتتابع: «مع وجود قيود كهذه، من الصعب فعلاً إقامة علاقات فعلية على ما أعتقد».

قال روكو برصانة: «لا تتميز كل النساء بهذا الاصرار مثلك».

- لا أعتقد أن إصراري له علاقة بالتساؤل حول عدم شعورك مطلقاً بالرغبة في العودة وإلقاء نظرة على المكان الذي نشأت فيه.

أجاب روكو رداً على اتهامها: «أنا لم أنشأ في وسط برمنغهام. في الحقيقة، لم أعش مطلقاً في وسط المدينة، لذلك ليست لدي أي عواطف وحنين للرجوع إليها! عاطفتي نحوها تشبه تماماً عاطفتي نحو أي مدينة أحدد موقعها بالدبوس على الخريطة».

وضعت آمي يديها على ذراعي الكرسي كأنها تثبتها.

- هل تقصد أنك لم تتجول مرة في المدينة، مع أنك عشت على بعد أميال قليلة منها؟

- هذا النقاش لا جدوى منه.

قالت: «أحاول فقط أن أرسم لك صورة متكاملة».

أطلق روكو زفرة طويلة معبراً عن استيائه، ثم قال بغضب: «أنا لم أمضِ وقتاً طويلاً في هذا الجزء من البلاد».

- آه! أجل. كنت دائماً في مدرسة داخلية.

للحظة ظهر في عينيها إحساس عميق من اللطف والتعاطف، ما جعله يشعر بالانزعاج أكثر من ذي قبل.

- لا بد أنك حصلت على هذه المعلومات من والدي أثناء تلك الأوقات الكثيرة التي كنتما تتحدثان خلالها؟ ربما بعد إقناعه بدعم أحد المشاريع الطائشة التي تشمل إنفاق مبالغ طائلة من دون جني أي ربح منها؟

توقع أن تصدر عنها ردة فعل غاضبة، لكنها بدلاً من أن تغضب انجرفت للحظات بذكريات حلوة لأمسيات عدة أمضتها مع أنطونيو، تتحدث معه بكل شيء. مالت إلى الأمام واضعة ذقنها على راحتي يديها وابتسمت: «أمضينا الكثير من الأوقات ونحن نتحدث».

اعترفت له وهي غارقة في أفكارها، ولم تلاحظ وجه روكو المتفاجئ. تابعت: «افتقدت ذلك بشكل لا يوصف عندما مرض والدي. فقد كنا معتادين على التحدث دائماً، ربما لأنني كنت طفلته الوحيدة. لذا كان يعاملني كأنني راشدة لا كمجرد طفلة».

أعادت انتباهها إلى وجه روكو الذي علت ملامحه الآن تعابير الذهول والتشتت، فعبست على الفور. كيف تمكنت من الوثوق به بهذه السرعة؟

- هل افتقدت لمنزلك وأنت في المدرسة الداخلية؟

سؤالها الصريح الواضح يدل على أنها لم تأخذ ما قاله لها عن الحدود على محمل الجد وهذا فاجأه، فأشار إلى النادلة لتأتي وتسجل ما سيطلبانه. عادة، يسحق روكو كل من يتحداه ويرميه أرضاً، لكن هذه المرة عليه أن يتراجع عن قراره المرير. حياته الخاصة ليست موضوع مناقشة أثناء تناول طعام إيطالي، بل هي ليست للمناقشة في أي وقت كان.

سألها بلطف وهو يجول بعينيه على لائحة الطعام: «هل أتيت إلى هنا من

قبل؟»

- أبداً!

- أمر مثير للاهتمام. فالجو مريح جداً، ويبدو الطعام جيداً.

قالت مفسرة: «آه! نحن لا نقصد المدينة لتناول الطعام، فمن الأسهل لنا البقاء في الجوار».

لكنها فكرت أن عليها القيام بذلك أحياناً، فالطعام هنا يبدو شهياً أكثر من الطعام الصيني المعتاد أو البيتزا اللذين تتناولهما هي وسام في معظم الأحيان.

- مع أنني قصدت المدينة في الكثير من الأحيان، لكن ليس من أجل العمل. عندما كان والدك بصحة جيدة ولديه الوقت الكافي، كنا نأتي إلى هنا في عطلة نهاية الأسبوع، فهو يحب كثيراً الذهاب إلى السوق العتيق.

- السوق؟

لم يستطع روكو السيطرة على دهشته إزاء هذه المعلومة الغريبة.

- لماذا تبدو مصدوماً هكذا؟

- لا أتذكر مطلقاً أنه أبدى أي اهتمام في الذهاب إلى الأسواق.

تابع بنبرة مليئة بالسخرية والانتقاد: «في الواقع، مما أتذكره، كان يطلب من الآخرين شراء الأشياء الخاصة به أيضاً، ولا أستطيع تخيله يتجول في حفرة مليئة بالبراغيث من أجل التسلية والمرح».

قالت له آمي بهدوء: «السوق القديم ليس حفرة مليئة بالبراغيث. في الواقع، إنه مكان جميل جداً مليء بالناس الذين يبيعون كل شيء، من الكتب المستعملة إلى رزم من الثياب القديمة».

أشرق وجهها بالحنان وهي تتابع: «لطالما أظهر شغفاً كبيراً نحو متاجر الكتب، إن أردت الحقيقة. كنا نذهب كثيراً إلى هناك في فصل الصيف، وصباح أيام الآحاد، لنجول في الهواء الطلق في أسواق الريف، وذلك لمجرد تصفح الكتب المستعملة».

- ليبحث عن ماذا؟ شيئاً ما يستحق الشراء ليشتريه بفلس ويبيعه

بالذهب؟

كلامه المرير أعادها إلى غضبها المعتاد منه، فنظرت إليه بفضول وقالت: «أنت تتكلم عنه وكأنه وحش بشري».

- وأنت تتحدثين عنه كأنه قديس.

- لا! ليس قديساً، لكنه شخص لطيف جداً مراعٍ لشعور الآخرين وحقوقهم، وليس متكبراً يأنف من الاختلاط بأشخاص أقل شأناً منه أو الذهاب إلى أماكن شعبية في حين أنه يستطيع الحصول على مايريده مباشرة من أفخر المتاجر.

كلامها هذا دفعه لينفجر بالضحك بصوت عالٍ، قبل أن يقول: «هل أنت متأكدة أننا نتحدث عن الرجل ذاته؟»

قالت آمي: «يبدو بوضوح أنك لا تعرفه مطلقاً، لكن ربما تستطيع أن تتعرف عليه إن بذلت بعض المجهود لذلك».

تجمد وجه روكو ولمع الغضب على ملامح وجهه بينما ظهرت ابتسامة ضيقة على شفتيه. قال ببرودة: «هذا كلام نموذجي من شخص ذي حس إنساني يجعله يملك كلمات دافئة لا معنى لها، فأمثاله يشعرون أن من واجبهم التعبير عن الخير والكمال. وهم دائماً حاضرون لتصحيح الأمور وإلقاء عظات مؤثرة عن أشياء لا يعرفون أي شيء عنها».

- ليست بجريمة أن يكون لدى المرء حس إنساني، لكن صدقني، آخر ما أفكر في القيام به هو إلقاء عظة.

تراجعت آمي إلى الوراء ما إن وصل الطبق الأول ووضع أمامهما. احتوى الطبق على أصناف مختلفة، لحوم باردة وخضار مشوية بزيت الزيتون والأعشاب، بندورة مقطعة مغطاة بالثوم...

أخذ روكو قطعة من اللحم بشوكته، ونظر إليها نظرة تنم عن الكراهية وقال: «أحقاً؟ كيف تفسرين إذاً ملاحظتك الصغيرة البالية عن عدم بذل أي مجهود من قبلي لأعرف ذلك الأخرق العجوز الذي يبدو أنك ترينه كنزاً غير مكتشف؟»

- كيف يمكنك أن تتحدث عن والدك بهذا الشكل؟

- بسهولة جداً. لا سيما حين أفكر بالرجل الذي أعرفه، والذي يبدو كأنه مصنوع من جليد. ذلك الطاغية كان يتوقع من ابنه الوحيد أن يناديه سيدي، وكان مستعداً أن ينفجر غضباً إن سمع أي ضجة في تلك الغرفة الخالية في منزله الكبير الذي كان يعيش فيه كسيد مع جيش من الخدم.

حمل المزيد من اللحم بشوكته بحركة عنيفة، بعد أن شعر بالغضب لأنه كشف لها عن جزء من ماضيه، لذا تابع ببرودة: «إذاً، في ما يتعلق بوالدي، أعتقد أننا نختلف كثيراً بالرأي. لمَ لا تأكلين؟»

تناولت آمي بالرغم عنها بعض الخضار المقلية مع الثوم ووجدتها شهية جداً. فالذي قاله الآن جعلها تشعر بالصدمة، لكنها تعلم أنها لا تستطيع التحقق من الأمر. بدلاً من ذلك سألته عن نيويورك، وهي حريصة على عدم الاقتراب من محيط حياته الخطر، مع أن الفضول سيطر عليها بقوة. سألته أخيراً: «لماذا اخترت نيويورك من بين كل الأماكن، لتعيش فيها؟ لمَ لم تذهب إلى إيطاليا؟ ألم يكن من الأسهل عليك أن تعود إلى البلد الذي ولدت فيه ما دمت تريد أن تبدأ من الصفر؟»

أجاب روكو بفظاظة: «لم تكن إيطاليا خياراً لي».

- آه! أحقاً؟ لمَ لا؟

- هل تستطيعين التوقف عن طرح الأسئلة؟

ابتسمت آمي ببراءة وببساطة، فشعر بالرغبة بأن يبادلها الابتسام. قالت له بصدق: «إنها عادة لدي، فأنا أطرح الأسئلة طوال الوقت. إنه جزء لا يتجزأ مما أقوم به. كيف لي أن أعلم ما الذي يحتاجه الناس إن لم أطرح الاسئلة؟».

- وأنت، إلام تحتاجين؟

- أنت تعرف مسبقاً ماذا أريد.

- أحقاً؟

للحظات قليلة، التقت عيناها البنيتان بعينيه. قالت آمي بنبرة عادية:

«أريد عملي، وأريد الاستمرار في القيام بما أقوم به. أعلم أنك تعتقد أن من السخرية أن يقدم والدك على بناء مساكن للمحتاجين، وأنك تعتبر مساعدة الغير هدراً للوقت وللمال، لكنه عمل قيم جداً. أتمنى لو أنني أستطيع أن أجعلك ترى ذلك».

أشار روكو إلى النادلة بأنهما أنهيا الطبق الأول، لكن عينيه بقيتا مسمرتين على وجه آمي الجدي.

- لن نعود للتحدث عن ذلك الموضوع. أليس كذلك؟

علقت آمي: «السبب الوحيد لوجودنا هنا هو عملي، اذاً كيف تتوقع مني أن أضعه جانباً وأتظاهر بأنه غير موجود؟»

- الحياة لا تتعلق بشكل حصري بالعمل.

سمع روكو نفسه يقول ذلك، وفكر بسخرية أنه بارع في التملق والكذب، فهو لا يهتم بغير عمله. فالعمل هو سبب حياته. مهما يكن، لم يتوقع أن يتناول العشاء برفقة امرأة، فيما هما لا يتحدثان إلا بشؤون العمل. والحقيقة الأهم هي أن هذا كل ما يثير اهتمامها، لذا رغب في تحويل الحديث كلياً ليتمكن من التحدث معها عن هواياتها، عن ماضيها وعن حياتها الخاصة. عن أي شيء لا يتعلق بهذا العمل التافه الذي تقوم به في حياتها.

قالت آمي بقسوة: «إنني متفاجئة لسماعك تقول هذا، لا سيما أن حياتك دليل واضح على حبك للعمل».

- المزيد من الافتراضات!

لاحظ روكو بدهشة أن النادلة اقتربت منهما وهي تحمل الطبق الرئيسي للعشاء. الآن؟ السمك لآمي واللحم بالصلصة له. بدأت آمي بتناول السمك، وفكرت أن الأمر لا يقتصر على أنها لا تأتي إلى هنا بصحبة سام من أجل تناول الطعام، بل إنهما أيضاً لم يتناولا مرة طعاماً لذيذاً كهذا. ببساطة، سام لا يستطيع تأمين ثمن مثل هذا الطعام، وهي لم تفكر للحظة أن تسبب إهانة لكبريائه بأن تعرض عليه دفع ثمن الطعام. في الواقع، قد

يصاب سام بأزمة قلبية إن علم كم يزيد أجرها عن أجره. لطالما افترض أنهما يتقاضيان راتبين متقاربين، ولم يدرك أن الدولة أقل كرماً وسخاء مع موظفيها من أنطونيو.

سألته آمي وهي تنظر إليه مفكرة: «كيف يمكن أن تصل إلى ما وصلت إليه في فترة لا تزيد عن العشر سنوات لو لم تكرس كل لحظة من وقتك لعملك؟ لقد قرأتها كلها».

توقف روكو عن إيصال الشوكة إلى فمه. قطب جبينه وفكر ملياً بما سمعه. رفع حاجبيه وسألها: «هل يتضمن عملك الاطلاع على صحيفة نيويورك تايمز؟».

- أنا لا أحلم بالاشتراك في صحيفة نيويورك تايمز...

وضعت آمي بعض الخضار على شوكتها، ثم تابعت: «... لكن والدك لديه اشتراك، وقد جمع كل مقالة كتبت عنك منذ اليوم الأول الذي غادرت فيه البلاد، وأنا رأيتها كلها».

أخفضت بصرها، وانشغلت بتناول طعامها والتفكير بأنطونيو وبذلك الشعور بالفخر الذي يبدو جلياً عليه وهو يتحدث عن نجاح ابنه في نيويورك. فروكو بوسامته الفاتنة وأصله الغامض وموهبته الباهرة يحول كل ما يلمسه إلى ذهب، لذا وصل إلى الصفحات الاقتصادية للصحف بسرعة قصوى.

- هل تمانعين في تكرار ما قلته؟

لاحظت آمي أن هدوءاً غريباً يحيط به ما إن رفعت نظرها إليه، ما جعلها تتساءل بقلق عما قالته ليشعر بهذا الذهول الذي يبدو عليه الآن.

- قلت لك إن والدك جمع كل المقالات التي كتبت عنك.

قال روكو بخشونة: «أهذه حيلة أخرى لتجعليني أشعر بالذنب لأنني رحلت عن إنكلترا؟»

لكنه تأثر كثيراً بما اعترفت به للتو، وعلم أنها لا تكذب، فقد ألقت ملاحظتها بمنتهى البراءة.

- أنت أكثر إنسان مشكك قابلته في حياتي كلها. يمكنني أن أريك أين يحتفظ بتلك المقالات. في الواقع، سأخبرك أين هي. إنها في غرفة مكتبه، في الدرج الأسفل من مكتبه الخاص. كلها موضوعة بأناقة وترتيب حسب تسلسلها الزمني. هل اقتنعت الآن؟

- إن كنت تحاولين إعادة الروابط الوثيقة بين والدي وبيني متوقعة حدوث معجزة ما، آملة أن تحتفظي بعملك بسبب امتناني لك، بإمكانك أن تنسي ذلك.

قال لها ذلك وهو يتابع تناول طعامه. شعر بالضيق لأن ما قالته دفعه للتفكير. لماذا عمل الرجل العجوز على تتبع أخباره؟ خلال المرات الأربعة التي التقيا فيها عندما احتاج إلى توقيع والده على بعض الأوراق الخاصة بالشركة، اقتصر حديثهما على إلقاء التحية والتحدث بطريقة رسمية مطلقة. لم يظهر والده مرة كأي والد فخور بما حققه ابنه. لكن، لماذا تراه يحتفظ بالمقالات...؟ هل تشمل تلك المقالات أخباره الاجتماعية أيضا...؟ تساءل روكو متعجباً. ألأنه يريد أن يبرهن أنه أنجب ابناً قادراً على جني المال مثله لكنه لا يجاريه في رغبته بالارتباط؟ هذا ما قاله العجوز بوضوح في المناسبات القليلة التي التقيا فيها. ما إن أصبح روكو أكثر نضجاً حتى أدرك أن الارتباط يعني أن تعرض نفسك للألم. ففي النهاية، ألم يكن ذلك قدر والده؟ ارتبط بزوجته ارتباطاً أبدياً، لدرجة أنه وجد من المستحيل نسيانها والاستمرار في الحياة بسعادة بعد وفاتها، ووجد أن من المستحيل عليه تقبل الطفل الذي أنجبته له وتوفيت ما إن أبصر هذا الطفل النور.

ردت آمي عليه بحزم وببرودة: «الطريقة الوحيدة التي تجعلني أرغب في الاحتفاظ بعملي هي رغبتي في أن أبرهن لك أن ما نقوم به أمر لا يقدر بثمن. أما إذا تجددت العلاقة بينك وبين أبيك فهذا أمر لا يعنيني».

رغبة منها في تأكيد مدى عدم اهتمامها، رفعت كتفيها ووضعت الشوكة والسكين فوق بعضهما معلنة عدم رغبتها في تناول المزيد من الطعام. تراجع روكو على كرسيه إلى الوراء ليتمكن من إعطائها الانتباه

الكامل قبل أن يقول: «يبدو لي أن لا شيء يهمك غير عملك. أليس كذلك؟ ألم تشعري يوماً بالرغبة في ترك هذا العمل واستغلال قدراتك في عمل آخر مختلف كلياً؟»

لم تعرف آمي عن أي سؤال من السؤالين ستجيب أولاً، لذا نظرت إليه بارتباك ودهشة لدرجة أنه هز رأسه في توتر واضح.

- ما من داع لتشعري بهذا الارتباك لأننا ابتعدنا عن التحدث عن المحرومين وما يمكنك القيام به لمساعدتهم. هل يصعب عليك إجراء حديث عام؟

راقب روكو وجهها يتورد احمراراً بسبب ملاحظته أو ربما لأنها شعرت بالتحدي من كلامه. تجاربه مع النساء أعطته فكرة واضحة عنهن، فهن مخلوقات سريعات البديهة وقادرات على التكيف والتصرف بسرعة مذهلة. فالنساء اللواتي خرج برفقتهن في نيويورك لتناول العشاء ثم أمضى الليل برفقتهن ساحرات بالفعل، واثقات من أنفسهن ولا يترددن مطلقاً في التحدث عن أنفسهن بالتفصيل. فهن يعتبرن أي سؤال يلقى عليهن كبادرة اهتمام لمعرفة المزيد عنهن. إنهن جميعاً جميلات ويتوقعن منه أن يهتم بهن، فهن معتادات على المغازلة ويستمتعن بفكرة أن الأمسية ستنتهي في منزله. ما إن يتسنى ذلك لإحداهن، حتى تنتقل بشكل محتم إلى الجزء الثاني من اللعبة. ذلك الجزء الذي يشمل التودد والملاطفة في محاولة لكسبه من خلال إعداد الطعام له، ومن الأفضل أن تطبخ في مطبخه الواسع المشع، كبرهان يثبت أنها صالحة لتصبح زوجة له. عند هذه النقطة يسيطر على روكو القلق، مهما كانت تلك المرأة جميلة وجذابة.

أما الفتاة التي تحدق به الآن باستياء فهي أشبه بجدار من القرميد، هذا ما قرره بضيق واضطراب. إنها ثرثارة بشكل منقطع النظير عندما يتعلق الأمر بالحديث عن دور الاحسان والمساعدة، لكنها عدائية ولا تتعاون أبداً إن تبدل الحديث إلى أمور تتعلق بها شخصياً.

قالت آمي بضيق واضح: «أنا لست مرتبكة، وأنا فعلاً أعرف كيف

أشارك في حديث عادي. في الواقع، اعتقدت أن هذا ما فعلناه خلال الأمسية».

- هل تريدين تناول فنجان من الشاي؟

- أعتقد أن علينا العودة إلى منزلينا.

- في الواقع... أظن أن تناول فنجان من الشاي هو فكرة رائعة، فهذا تقليد إنكليزي شهير. أظن أنني افتقدت لذلك عبر السنين. ما رأيك؟

- يدهشني أنك تريد إطالة فترة بقائك معي هنا، وأنا - برأيك - لا أستطيع إجراء حديث عادي.

علقت آمي بذلك وهي لا تزال تشعر بلسعة بسبب قوله إنها بطريقة ما، فاشلة اجتماعياً بحيث لا تستطيع أن تركز في حياتها إلا على عملها، وليست تلك المرأة الناضجة الكفوءة التي تحاول بجد أن تثير اهتمامه بقضيتها. تابعت بلا اهتمام: «لا أمانع في تناول فنجان من الشاي».

بعد مرور بضع دقائق بدأ باحتساء الشاي، ووجدت آمي نفسها أكثر ارتياحاً فسألته: «ألم تفكر أبداً بالعودة إلى إنكلترا؟»

تابعت راغبة في الإيضاح وهي تقطب جبينها، بعد أن لاحظت كيف تحدق بها عيناه الزرقاوان الثاقبتان: «أقصد، حتى لو كنت لا ترغب بأية علاقة مع أنطونيو، ألم تشتق للحياة هنا؟ تناول العشاء في وقت متأخر مع أحاديث مختلفة بعد العشاء وأباريق من الشاي والكعك المحلى؟

ارتفعت زاوية فمه وابتسم، ما دفعها لتشغل نفسها بشرب المزيد من الشاي كي تبعد نظرها عنه. قال: «أجل، حتى عندما غادرت إنكلترا وأنا في الثانية والعشرين من عمري كنت أستمتع بذلك، لكن صدقيني، أباريق الشاي والكعك المحلى ليست حصراً على المملكة المتحدة. فنجان الشاي في أي مكان من العالم يتمتع بالمذاق نفسه. ألا توافقيني الرأي؟»

- قد أفعل لو أنني ذهبت إلى أي مكان آخر في العالم.

تورد وجه آمي إذ شعرت أنها طائشة ولعوب، ولا تشبه مطلقاً الفتاة الرزينة التي هي عليها في العادة. عاد روكو يقول بصوت هادئ عميق:

- لكي أجيب عن سؤالك بجدية، أجل... أنا أفتقد إنكلترا، فهي البلد الذي نشأت فيه، أما إيطاليا ببساطة فلم تكن إلا مكاناً لقضاء عطلة طويلة من فترة إلى أخرى. لكن العودة لم تكن خياراً ناجحاً في بداية الأمر...

رفع فنجانه واحتسى القليل منه وهو ينظر إليها من فوق حافة الفنجان، ثم تابع: «... في ما بعد، اكتشفت أن الوقت فعل فعله وملأت نيويورك الفراغ بصورة تدريجية».

- ألم تنظر إلى الوراء أبداً؟ ألا تشعر بالحنين للعودة؟

- النظر إلى الوراء عمل لا جدوى منه، فلا يمكن تغيير الماضي. لذلك لا فائدة من النظر إليه من خلال نظارات وردية.

- آه...!

لا عجب أنه لم يبذل أي جهد ولو ضئيل لفتح خطوط اتصال مع والده. بالنسبة إليه، أنطونيو ينتمي إلى الماضي.

- أنت لا توافقيني الرأي. فهمت ذلك بنفسي.

للحظة غاضبة، تساءل لماذا يزعج نفسه بالتحدث عن أمر من الصعب أن يكون له أي أهمية في حياته بشكل عام. اعترفت آمي بصراحة: «أنا أنظر إلى الماضي بشكل دائم، وأعتقد أن من الأفضل ألا يتخلى المرء عن ماضيه».

علق روكو بنبرة حادة: «هذا يعتمد على نوع الذكريات التي ترغبين في تذكرها من الماضي».

أنهيا شرب الشاي، وكاد يطلب المزيد منه لأنه شعر كم هي متوترة وتنتظر التخلص من رفقته، على عكسه تماماً.

- لا تفكري حتى بالنظر إلي بتلك النظرات المتعاطفة. لو لم تمضِ وقتك وأنت تفكرين بالماضي، ألا تعتقدين أنك كنت تقومين بعمل مختلف تماماً الآن؟

- مختلف... مثل ماذا؟

دفع روكو الحساب فوقفا استعداداً للمغادرة.

- اخبريني أنت. بالطبع، عملك الاجتماعي ليس هو ما رغبت في القيام به مذ كنت طفلة صغيرة.

أنكرت آمي بقوة: «إنه ليس عملاً اجتماعياً، كما أنني طورت عملي بنجاح».

رفعت رأسها عالياً وهما يسيران عبر الباب، مع أن الأفكار ظلت تتسارع فيه. أحست أن ساقيها غير قادرتين على حملها بشكل ثابت.

- ماذا لو لم تجبرك الظروف على ترك المدرسة وأنت في السادسة عشرة من عمرك؟ ماذا كنت لتفعلين إذاً؟

فتح باب السيارة لها، وفاجأتها مبادرته تلك لأنها طريقة قديمة جداً بالنسبة لمن هم في مثل سنهما، بالرغم من أنها تدل على احترامه لها. انتظرت آمي حتى أصبح داخل السيارة قبل أن تجيب: «لا فكرة لدي مطلقاً. في مطلق الأحوال، ما الغاية من السؤال عن شيء كهذا؟ هل تتذكر طريق العودة إلى منزلي؟».

- تقريباً.

أصبحت الطريق أكثر هدوءاً الآن، وتفاجأ روكو عندما أدرك أن الوقت تجاوز منتصف الليل. تابع قائلاً: «هل العمل في تلك المشاريع الصغيرة يملأ حاجة غير معلنة لديك كامرأة ترغب في رعاية الآخرين بعد اهتمامك بوالدك؟ ألا تعتقدين ببساطة أنك وضعت حاجات الآخرين وحياتهم قبل حياتك ورغباتك؟»

أجابت آمي بضيق وانزعاج: «هذا كلام لا قيمة له مطلقاً».

قال روكو بإصرار: «ربما أصبحتِ معتادة جداً على عدم التمتع بالحياة وأنت تكبرين، وبدا من الطبيعي أن تميلي نحو هذا النوع من الأعمال. وهذا ما تفعلينه في نهاية الأمر».

اعترضت آمي بقوة: «عملي ممتع جداً! أنا أحب ما أقوم به، ولا تظن أنك تستطيع أن تجعلني أبدل رأيي لأعتقد أنه عمل ممل ولا فائدة ترجى

منه، وذلك ببساطة لأن هذا ما تفكر به!»

– لم أعد أفكر على هذا النحو بعد هذه الأمسية.

فاجأها روكو بما قاله، لكن قبل أن تتمكن من الاستفادة من اعترافه هذا تابع على الفور: «لكن هذا لا يعني أنني سأبدل قناعاتي، فما زلت أعتبر عملك هدراً كبيراً لمواهب فريدة».

علقت وعيناها تنظران إلى جانب وجهه الرائع الجمال: «ها قد أصبحنا الآن فريق عمل يتمتع بمواهب فريدة!»

بقيت عيناها مسمرتين عليه وهي تتابع: «حسناً! أعتقد أن هذا نوع من التقدم».

أبعدت نظراتها على الفور عن وجهه لتنظر إلى الشارع، ثم حرصت بحزم على عدم النظر إلى وجهه ثانية، لأنها أدركت أن التحديق به قد يصبح عادة سيئة لديها.

سألها روكو مستفهماً: «كيف تمكنت من إنشاء فريقك؟»

– بالطريقة المعتادة، أجريت مقابلات مع من يرغب بالعمل.

– وهل أجريت المقابلات بنفسك؟

– أمر مثير للدهشة. أليس كذلك؟ فتاة صغيرة من دون أي مؤهلات وليس لديها إلا عدد ضئيل من سنوات التجربة.

قال مفكراً: «هذا يبرهن أنك قادرة على القيام بالكثير من الأمور. أيحتمل أن تفكري بالذهاب إلى نيويورك للعمل؟»

– ماذا؟

– نيويورك. تحتاج شركتي دائماً إلى أشخاص مثلك. أنت كفوءة وقادرة على اتخاذ قرارات جريئة، كما يبدو بوضوح أنك ذكية على خلاف أولئك النساء المتكلفات اللواتي يتسببن بالمتاعب في أماكن عملهن.

استعادت آمي توازنها بعد الصدمة التي أصابتها بسبب ما قاله، إلا أنها اعترفت لنفسها بأنها شعرت بالسعادة لذلك. ركزت تفكيرها على الجزء الأخير من كلامه. «لا تشبه مطلقاً النساء المتكلفات» آه! هي تعلم ما الذي

يقصده بكلامه. هذا يعني أنها قبيحة بما يكفي كي لا ينظر إليها أي رجل في ميدان العمل إلا كزميلة كفؤة.

رمشت بعينيها بسرعة لتخفي دموع الألم التي كادت تنهمر. قالت له: «لا يمكنني أن أفكر بأي شيء أسوأ من ذلك».

أضافت لنفسها بصمت: العمل مع وغد مجرد من الشعور والكياسة يلقي الإهانات مثله أمر يتعدى قدرتها. تابعت بانزعاج: «أنا سعيدة جداً هنا، وأتمنى متابعة القيام بالأعمال التي أحبها».

– . . . والتي سوف تتوقف بلا شك ولو قبل أوانها.

– في هذه الحالة، سأقوم بعمل آخر، عمل اعتبره يستحق العناء، ولا علاقة له مطلقاً بالجري وراء تكديس الأموال.

– كم أنت نبيلة! وما نوع هذا العمل؟

– لا فكرة لدي. بإمكاني العودة لمتابعة الدراسة للحصول على إجازة تعليمية، لأصبح مدرّسة. . .

وصلا إلى المنزل قبل أن يتمكن من طرح الأسئلة المقلقة عليها بشأن تلك الفكرة، مع أن آمي بدأت الآن تفكر جدياً بالأمر. أدركت أن هذا ما تحب فعلاً القيام به. إذا انهار عملها –نظراً لرغبته الشديدة في القضاء عليه– فهذا ما ستفعله. فتحت باب السيارة، وقالت: «شكراً لك على العشاء».

تفاجأت عندما رأته يتبعها، وازداد اندهاشها عندما سار وراءها نحو باب منزلها.

– أنا فعلاً أملك صفات الرجل اللطيف في شخصيتي.

قال لها ذلك كما لو أنه قرأ ما تفكر به بينما راحت هي تبحث عن مفتاح منزلها داخل حقيبتها. وكأنه أراد أن يؤكد ما قاله، أمسك بالمفتاح من بين أصابعها، وقبل أن تحظى بالوقت الكافي لتقوم بالعمل الضروري لصده، وقبل أن تدرك ما يحدث فتح لها الباب، وسمح لها أن تدخل أمامه. تلامس جسداهما وهي تمر أمامه، ما جعلها تشعر بإحساس خطير من التوتر يسيطر عليها.

بعدئذ، وعلى الرغم من انزعاجها، تبعها إلى القاعة الصغيرة الأمامية ما دفعها في نهاية الأمر لتقول بمرح: «أنت تعرف طريق العودة... إلى منزل والدك. أليس كذلك؟»

تجولت في الغرفة والتوتر يتنامى في داخلها كالعاصفة بل كالزلزال.

- اعتقدت أنني أستطيع تناول فنجان من القهوة قبل أن أنطلق برحلتي الطويلة.

قالت تجادله: «لن تحتاج إلى وقت طويل لتصل إلى هناك، فالطرقات خالية في هذا الوقت».

قوبل كلامها هذا بصمت هادئ، وبعد حين تمكنت من استجماع شجاعتها والسيطرة على قلبها المضطرب الذي كاد يقفز من صدرها، فتابعت: «بالطبع، إن كنت تشعر برغبة في تناول فنجان قهوة، فلم لا؟»

هذا ما يريده بالضبط! لا سيما بعد أن رأى مدى ترددها في دعوته. فكرت آمي أن تناول فنجان قهوة في منزلها هو أمر يتعدى واجبها في العمل.

نظر روكو حوله ثم أغلق الباب وراءه. بيتها صغير لكنه مريح. ليس هناك أي تكلف أو أي زخرفة إضافية، لكنه يستطيع القول إن كل قطعة من المفروشات تم شراءها بعناية وحب، كذلك الأمر بالنسبة إلى الصور التي تملأ الجدران. شعر أنها تراقبه، فاستدار أخيراً لينظر إليها.

أشارت آمي نحو باب إلى الجهة اليمنى: «هذه غرفة الجلوس. إذا أردت أن تنتظر هناك، سأعد القهوة وأحضرها لك».

سألها ببراءة: «ليس هناك أي إزعاج. أليس كذلك؟».

- ما من إزعاج على الاطلاق. على أي حال، أنت اصطحبتني لتناول عشاء رائع.

استدارت على عقبيها وسارت باتجاه المطبخ، تاركة إياه ليسير نحو غرفة الجلوس الصغيرة ويتجول بمفرده هناك وهو يشعر بالغرابة لأول مرة في حياته. مر روكو بالكثير من التجارب مع نساء كنَّ يطلبن منه البقاء

بإصرار، وهن غير قادرات على الاحساس بانزعاجه ورغبته في الرحيل. سمع صوت حركتها البعيدة وهي تعمل في المطبخ على مضض لتعد له القهوة، بعد أن أصر على أنه بحاجة إليها، وبينما كان يسأل نفسه ما الذي سيجنيه من بقائه هنا فيما كان بإمكانه أن يقطع نصف المسافة إلى منزله، رن جرس الهاتف. كان الهاتف قربه تماماً.

رفع سماعة الهاتف بصورة تلقائية وأجاب. ما إن تلفظ بجملة أو اثنتين حتى وصلت آمي إلى غرفة الجلوس، وذلك في اللحظة التي كان يعيد فيها سماعة الهاتف إلى مكانها.

- هل سمعت رنين الهاتف؟

- أجل.

نظرت آمي إلى الهاتف، ورأت أن السماعة موضوعة على الجهاز في مكانها. قالت: «لِمَ لم تنادني؟»

- كي لا أزعجك وأنت منشغلة بإعداد القهوة؟

سقط كلامه المرح كبالون من الرصاص عليها. علم في أعماقه أن آخر شيء يريده هو أن يظهر لها أنه يجد الأمر مسلياً، لا سيما وهي تقف أمامه وتضع يديها على وركيها وتحدق به بغضب، ووجهها يتقد احراراً.

قال روكو: «إنه صديقك. أردت أن أناديك لكنني رفعت السماعة بصورة تلقائية لأن الهاتف بجانبي تماماً».

- سام؟ هل المتصل سام؟

- عرضت عليه أن أناديك، لكنه قال إن لا ضرورة لأن أزعج نفسي فهو سوف يتصل بك عند الصباح.

سارت آمي في الغرفة وهي تتنهد، ثم واجهته بغضب صارخ قائلة: «لا يحق لك أن تجيب على اتصالاتي الهاتفية!»

- وأين المشكلة بذلك؟

- المشكلة؟

توجهت نحوه بغضب أكبر وهي تفكر بردة فعل سام المسكين وهويسمع

هذا الصوت العميق الهادئ يجيبه في هذه الساعة المتأخرة من الليل.

– المشكلة هي أنك أجبت على الهاتف! هذه هي المشكلة! من الأفضل أن أتصل به وأشرح له. لا! من الأفضل ألا أفعل. إن فعلت ذلك على الفور سأبدو كالمذنبة. بالطبع أنا لست مذنبة، لكنني سأبدو كذلك. يا للعنة...!

جلست على أحد المقاعد وحدقت بهذا الرجل الوسيم الذي يجلس على الأريكة بالرغم من أنها لم تدعه. إنه رجل نموذجي، بارد كالثلج، وهذه الفوضى هي غلطته بالتحديد.

٥ ـ لقاء عمل وعشاء

ترك روكو آمي تتصارع مع أفكارها، وذهب إلى المطبخ ليحضر القهوة عن الطاولة.

يا له من مطبخ أنيق! هذه المرأة تملك ذوقاً رفيعاً أيضاً. بدت الأناقة التي تميز المطبخ دليلاً واضحاً على اهتمامها بما يحيط بها، كما أنها دليل على ذوقها الرفيع. لطالما افترض أن النساء الثائرات لا يتمتعن بذوق مميز، وذلك بسبب اعتقاده أنهن يمضين الكثير من الوقت في مطاردة قضايا مملة. لكن مطبخها رائع؛ جدرانه صفراء مشرقة، علقت عليها لوحات صغيرة داخل إطارات بسيطة. ستائره ليست ستائر عادية. إنها خضراء اللون مصنوعة من الخشب لتناسب المفروشات فيه. عاد إلى غرفة الجلوس ليجد أنها لم تتزحزح من مكانها.

– القهوة!

– ماذا؟

– فنجان من القهوة القوية. يبدو أنك بحاجة إليه، مع أنني لا أستطيع أن أفهم ما هي مشكلتك.

سار نحو الأريكة وجلس عليها، ثم رشف قليلاً من فنجانه وتابع التحديق بها.

– ليست هناك أي مشكلة.

قالت آمي ذلك بضيق وهي تنظر إليه، وتفكر أنه، بطريقة ما، تمكن من التدخل أكثر فأكثر في حياتها الشخصية من خلال دخوله إلى مطبخها وإحضار القهوة لها. بالطبع هذه مبادرة بريئة قام بها عدد لا يحصى من

www.elromancia.com

الأشخاص عبر سنوات عملها، ومن بينهم كل الذين يعملون معها الآن والذين قدموا لزيارتها.

- يمكنني القول إن ردة فعلك بالنسبة إلى سام... إنه سام أليس كذلك؟ ... لأنه سمع صوتي عبر الهاتف، تتصف بالهستيرية. هو يعلم أننا سنمضي الأمسية معاً. أليس كذلك؟

- بالطبع يعلم أننا سنمضي... أننا سنمضي الأمسية معاً...

تلعثمت آمي وهي تلفظ تلك الكلمات. إنها كلمات صحيحة بالفعل لكنها - لسوء الحظ - تبدو مليئة بالإيحاءات بالنسبة لها. أضافت قائلة: «... ونحن نعمل. في الواقع، اعتقد أنها فكرة رائعة أن تأتي معي وتلقي بنفسك نظرة على المشروع».

- حسناً! ها أنت تقولين ذلك بنفسك.

- لكنني لست متأكدة أنه توقع أن ينتهي بنا الأمر بأن نتناول العشاء معاً.

- أنت تجعلين الأمر يبدو وكأننا أقمنا علاقة عاطفية معاً.

حدق روكو بها بعينيه الثاقبتين، وأخيراً أعطى صورة للاحساس المبهم الذي يسيطر عليه: علاقة عاطفية بينه وبينها! راقبها وهي تتكلم بحماس واقتناع في تلك القاعة هذا المساء، ورأى كيف تتعامل مع هؤلاء الناس بالطريقة المناسبة، بحيث تظهر احتراماً تاماً وإرادة حقيقية لتصغي إلى ما يقولونه. طبيعتها الشفافة جعلت أفكاره تحلق في عالم الخيال، فهي بدون أي شك لا تشبه أي امرأة عرفها من قبل، لذا فهي تدفع أي رجل طبيعي إلى التفكير بمعانقتها. خفف من شدة انفعاله، وذكر نفسه أن العمل والمرح لا يمتزجان. في الواقع، هذه قاعدة التزم بها دائماً، فلم يتورط يوماً مع أي فتاة عمل معها، وهذه المرأة بالتحديد تتضاءل بشدة نسبة توافقها معه.

قالت آمي بسرعة: «لا تكن سخيفاً!».

أعاده كلامها إلى الواقع على الفور وبشدة. الله وحده يعلم إلى أين وصل به خياله. فكر بضيق، كيف يمكن له أن يحلم بقربها وهي تصده

كالأسلاك الشائكة. قال روكو وهو يميل إلى الأمام واضعاً مرفقيه على ركبتيه، وممسكاً بفنجانه بين أصابعه الطويلة: «أنا لا أتصرف بسخافة، أنت تبدين وكأن أحدهم فاجأك وأنت تقومين بعمل مشين. إذا كان الرجل يثق بك، فإن إجابتي على اتصاله الهاتفي لن تثير أي شكوك لديه».

- بالطبع، سام يثق بي.

راودها شعور غامض أنه مهما كان الحديث الذي سيدور بينهما في اليوم التالي، فهو سيتحول إلى شجار سيء.

- ما هو شعورك إذا اتصلت بفتاتك في هذه الساعة من الليل وأجابك رجل غريب؟

- لكنني لست رجلاً غريباً.

- أنت تفهم ما أقصده.

رفع روكو كتفيه وتابع التحديق بها، وهذا أمر لم يعجبها أبداً، فهو جذاب ووسيم. لو أنه سمين وأصلع وبشع لما راودها أي شعور بالذنب بسبب وجوده تحت سقف بيتها، بحجة شرب القهوة في تلك الساعة المتأخرة من الليل.

- حسناً! فهمت ما تقصدينه. أعتقد أنني لو اتصلت بفتاتي وأجابني رجل سأشعر ببعض الفضول لأعرف ما الذي يفعله هناك، لكن...

رفع كتفيه ببراءة وتابع: «كل شيء مسموح به في الحب وفي الحرب. إن كانت فتاتي تقابل رجلاً آخر غيري سأتخلى عنها بسرعة تضاهي سرعة رمي رأس بطاطا حار».

- أهكذا، بمثل هذه البساطة؟

ابتعدت أفكار آمي عن سام وعادت إلى روكو. شعرت بالفضول لمعرفة المزيد عنه... قال بصوته العميق: «تماماً! بمثل هذه البساطة».

ورفع أصابعه ليؤكد ما قاله.

- لكن، ألن تشعر بالسوء من جراء ذلك؟

- بالسوء؟ لماذا عليَّ أن أشعر بالسوء؟

- لأن العلاقات العاطفية تجعلك حساساً تجاه الآخرين؟ لابد أنك ستشعر بالألم إن اعتقدت أن هناك من يعمل على خداعك بعد أن أنفقت وقتك وعاطفتك لتتقرب من شخص ما لتكتشف في النهاية أنك لم تعرفه جيداً.

- أنا لا أهتم لمثل هذه الأشياء.

فكر روكو أن هذا حديث شخصي آخر. هذه المرأة تملك مقدرة خاصة على جره إلى تلك الأحاديث من دون أن يدرك. قطب جبينه وهو يقول: «توقفي عن النظر إلي كأنني وغد يستحق الشفقة. أنا فقط لا أسمح لنفسي بالتورط إلى درجة تجعلني عاجزاً عن الرحيل».

- آه! لهذا السبب أنت لا تستطيع أن تفهم كم أنا متعلقة بما أفعله.

قالت آمي ذلك وهي تحدق به من جديد. حسناً! إنهما يتحدثان الآن، ومن الطبيعي أن تنظر اليه. إنها على الأقل لا تحدق به بحماقة كما كانت تفعل أثناء العشاء، حيث راحت تتأمل وسامة وجهه وقوة ملامحه ودقة تكوين عظام خديه.

- آه! لا تبدأي من جديد.

التأوه الذي رافق كلامه بدا كافياً ليجعلها تبتسم. قالت: «هل تحاول القول إنني أكرر كلامي؟»

نظر روكو إلى الابتسامة المشعة على وجهها. لا شك أنها اختارت الأنوار في منزلها بمنتهى الذكاء، فهذا هو نوع الإنارة التي يتبعها بنفسه، متجنباً وضع المصابيح في سقف الغرفة ووسطها، معتمداً على توزيع المصابيح في الزوايا، لأنها تضفي على الغرفة جواً ناعماً باعثاً على الارتياح ومشجعاً لتبادل الأحاديث. ما لبث أن وجد أفكاره تطير نحو صديقها الذي سبب هذه الجلبة، ووجد نفسه يشعر بالتوتر على الفور.

قال بخشونة: «لا داعي لهذه القسوة. هل أنت معتادة على إلقاء عظات التأنيب؟»

- هذا كلام غير لطيف.

- أنا لست شخصاً لطيفاً.

- أدرك ذلك.

تحولت ابتسامتها إلى ضحكة صغيرة، وأدركت أن أفكارها حول سام الغاضب تبخرت من رأسها كالدخان.

قال روكو بسخرية لا تخلو من المرح: «شكراً على ما قلته».

انتهى من شرب قهوته، ومع ذلك لم يشعر برغبة في المغادرة. أدرك أيضاً، مع شعور بالدهشة ولو متأخراً، أنها أقدمت على إهانته بالمعنى الحقيقي للكلام. أما الاحساس الذي سيطر عليه فلا علاقة له مطلقاً بما كان يتوقعه. قال على نحو مفاجئ: «علي الذهاب».

مال إلى الأمام ليضع فنجانه الفارغ على الطاولة أمامه.

وقفت آمي وهي تشعر بخيبة أمل غير مبررة: «أجل، بالطبع».

- حظاً سعيداً ليوم غد!

- لماذا؟ ما الذي سيحدث غداً؟

- حديثك المقلق مع صديقك.

سار نحو باب غرفة الجلوس، ثم تبعها نحو قاعة الدخول.

- آه! صحيح. شكراً لك. أنت على حق. أظنني بالغت بالقلق من دون مبرر، فسام يعرفني جيداً وهو يعلم أنني لن... أفعل أي شيء معك.

توقف روكو عند الباب الأمامي، واستدار لمواجهتها وهو يقول: «معي؟»

تورد وجه آمي وهي توضح: «حسناً! هو يعلم أنك تريد التخلص منا».

أجاب روكو بخشونة: «أنا لا أريد التخلص منكم. قلت لك من قبل إن شركة والدي قادرة على استخدام أشخاص مثلك، أنت وفريق عملك. تحدثنا عن ذلك من قبل».

- في مطلق الأحوال، هو يعلم أنني لن... أفعل مطلقاً...

توقف تدفق الكلام من شفتيها وهي تحاول جاهدة أن تجد الكلمة المناسبة لتعبر عن أفكارها.

- تفعلين . . . ماذا؟

وقف روكو بحزم أمام الباب، وشبك ذراعيه فوق صدره.

تورد وجهها من الإحراج، وعلقت: «أفعل . . . أنت تعلم».

- لا، لا أعلم أبداً.

- أنت تعلم تماماً ما الذي أقصده روكو!

استمر في النظر إليها بتلك التعابير الهادئة والمعبرة عن الصبر، فتنهدت بضيق وتابعت: «يعلم سام أنني لا أوافق على أية علاقة معك، لأنه يعلم أنني لا أشعر بأي اهتمام نحوك، لذلك لن يكون هناك أي مشاهد غيرة في الغد. صدقني!».

علق روكو بمرح: «احذري من الرجل الذي لا يشعر بالغيرة، فالغيرة إحساس بدائي يدل على التملك، والرجل المغرم يغار لأنه متملك جداً».

ضحكت آمي بتوتر وقالت: «أفي هذه الأيام . . . وفي عمرنا هذا؟»

بدت قاعة الاستقبال لديها صغيرة جداً، كما بدت غرفة الجلوس قبلها، والسبب هو شخصيته القوية. تخيلت هذا الرجل الضخم القوي الذي يقف أمامها وهو يتبع حركات حبيبته بعينيه. على الفور طردت تلك الفكرة المجنونة من رأسها، فتلك الصفة غير عملية وتنتهي دائماً بالدموع، وهي لا ترغب بالأشخاص الذين يشعرون بالغيرة ويحب التملك. أليس كذلك؟

عادت تقول: «مما قلته لي، أستنتج أنك لم تشعر بالغيرة مطلقاً على امرأة».

تمنت لو أنها لم تستبعد المصابيح القوية من منزلها واضعة مكانها مصابيح خافتة الأنوار. وقوفها هنا مع هذا الرجل الذي يبدو كالبرج أمامها تحت الأنوار الخافتة الهادئة يجعلها تشعر بدوار خفيف وإحساس بالتهور.

- الغيرة شعور طبيعي، وهي خير دليل على وقوعك في الغرام. وهذا أمر تجنبته بشدة.

سمعت آمي نفسها تقول بنبرة هجومية: «حسناً! سام يحبني. كما أنه

ليس من النوع الذي يغار».

رفع روكو حاجبيه بمرح كأنه لا يصدق ما قالته. تذكرت آمي بغضب مفاجئ أنه تفاجأ فعلاً عندما سمع أن لديها صديقاً، فلا عجب ألا يصدق الآن أن صديقها يحبها فعلاً.

- في الواقع، طلب يدي للزواج!

لاقى كلامها صمت عميق. حدق روكو بالوجه المتوهج، وشعر فجأة بضيق شديد، وكأن أحدهم لكمه على أحشائه بصورة غير متوقعة. احتاج لثوان عدة حتى يستعيد رباطة جأشه. سألها بتكاسل: «هل عليَّ أن أهنئك . . . ؟»

لم تقل آمي شيئاً راغبة في إنهاء هذا الحديث عند هذه النقطة، قبل أن يبدأ بالتدخل في حياتها الشخصية، فيما تابع روكو بجدية: «. . . لأنك لم تذكري إن كنت قد وافقت على الزواج أم لا».

- الزواج أمر هام جداً، وتحتاج الفتاة إلى التفكير بالكثير من الأمور، قبل أن تتخذ أي قرار بشأنه.

تمتم روكو: «هذا أمر طبيعي».

- يتفهم سام ذلك تماماً.

- أنا متأكد من ذلك.

اتكأ على الباب المغلق فيما ذراعاه ما زالتا متشابكتين فوق صدره. فهمت آمي من تلك الخطوة أنه لا يرغب في الرحيل، فضحكت بصوت عالٍ ثم ابتسمت بإشراق وهي تقول: «آه! لا بد أنك تشعر بالملل وأنت تصغي إلى هذا الكلام الذي لا قيمة له عني!»

قربت رأسها لترى إن كانت تستطيع الإمساك بمقبض الباب قبل إضافة أي كلام كتوديع له، لكن لم يسعفها الحظ. كان روكو يسد عليها الرؤية بشكل مطلق.

- كما قلت لك من قبل، معرفة التفاصيل المتعلقة بالحياة الخاصة للموظفين الذين يعملون لدي يجعل التعامل معهم أكثر . . .

- . . . أكثر سهولة. أجل، قلت لي ذلك.

- ربما هذا سيحل مشكلتك.

فكر روكو ملياً، وهويفرك ذقنه بإصبعه.

- ماذا؟

- المرأة المتزوجة تركز اهتمامها على بناء عشها الزوجي، وهذا بالطبع لا يتماشى أبداً مع عمل يتطلب الكثير من الوقت والجهد.

التعصب والتفاخر اللذان ظهرا في كلامه جعلاها تشهق معترضة.

تابع روكو مستغلاً الصمت السائد من الصدمة التي أصابتها: «إلا إذا كان سام من الرجال الذين يشجعون نساءهم على الاستمرار في العمل بعد موافقتهن على الزواج؟»

تذكرت آمي بسرعة وانزعاج ما شعرت به عندما طلب سام منها الزواج، وتأكيده المبهم على أنها تستطيع ترك عملها لتعمل في مجال يتطلب تعباً أقل، وهكذا تحظى بالوقت الكافي للاهتمام بمنزلها. كل ما استطاعت قوله تحت نظراته الثاقبة: «مشكلتك لن تحل بموافقتي على الزواج، آملاً أن أستقر وأتفرغ لغسل الثياب بانتظار قدوم الأطفال! في مطلق الأحوال، ليس عملي وحده هو المشكلة، هناك خمسة أشخاص سواي يعملون بدوام كامل وبجهد قوي بانتظار حل لمشكلتهم».

- أود أن اجتمع بهم في لقاء قريب، ما دمت قد ذكرت ذلك الآن.

سألته آمي بتوتر واضح: «لماذا؟»

فهي لا تزال غاضبة من الصورة التي رسمها روكو لسام من دون يقصد ذلك بالفعل.

- هل ما ستقوله لهم مختلف عما قلته لي؟ إنهم جميعاً يعلمون ما هي خطتك على المدى البعيد. فالتوجه إلى قلبك صعب تماماً كالتوجه إلى عقلك، وهذا يعني أن لا فرصة لديهم بالاحتفاظ بعملهم لأنك مجرد من العاطفة.

- أحقاً؟

الصوت المنخفض المرح جعل قلبها المضطرب يتوقف فجأة للحظة عن الخفقان قبل أن تتسارع دقاته من جديد. قالت بنبرة كالصرير: «أجل. وأنت تعلم ذلك! فقد قلت ذلك بنفسك، لذلك لا تستطيع الالتفاف عليّ لتتهمني أنني أتدخل في حياتك الخاصة الغالية! أنت ترفض الارتباط العاطفي مع النساء، كما أنك ترفض الارتباط عاطفياً بما نقوم به! فأنت ترى كل الأشياء بالأبيض والأسود، وترفض كل المساحات الرمادية بينهما!»

لا بد أنه اعتاد على طريقتها الفريدة في التخاطب معه من دون أن تفكر في العواقب. أدرك روكو ذلك بانزعاج. لم تحاول آمي مطلقاً أن تظهر أي تأثر أو ملامح اعتذار، أما هو فلم يحرك جفناً أمام غضبها الصارخ. بل جاء تصرفه كردة فعل طبيعية من أعماقه: مدّ يده وأمسك بمؤخرة عنقها وشدها نحوه.

لم تتوقع آمي ذلك بالطبع! هذا ما فكر به روكو وهويشعر بالرضى الكامل. اتسعت عيناها، ورأى عن قرب شديد كيف تمدد بؤبؤا عينيها. لكن قبل أن تستوعب ما يحدث، تأوه روكو لأنه وضع يديه أخيراً على أمر أراده بشدة. أحنى رأسه وعانقها ليبرهن لها كم هي مخطئة عندما قالت إنه بارد الاحساس خال من المشاعر.

في اللحظات الأخيرة أدركت آمي ما الذي سيفعله، لكن ما إن شعرت بحرارة عناقه حتى انضمت إليه سعيدة بهذه العاطفة الجارفة. علمت أنها سوف تضيع في هذا العاطفة القوية التي لم تعرف مثلها في حياتها. بدا لها كأن أبواب فيضان جارف قد فتحت فجأة، ساحة لعاصفة من الأحاسيس القوية أن تندفع في عروقها. أحاسيس لم تعلم مطلقاً من قبل أنها موجودة لديها. إنه إحساس رائع، وهويسيطر عليها بشكل مطلق. لكنه أمر خاطئ!

فجأة سيطر الواقع عليها فدفعت بنفسها بعيداً عنه، ولاحظت أنه تركها على الفور.

- ماذا تظن نفسك فاعلاً؟

سمع الارتجاف في صوتها، كما رآه في يديها. في الواقع، بدت كأنها ترتجف من رأسها حتى أخمص قدميها. لاحظ روكو ما يحدث معها فشعر بسعادة قوية. جالت في رأسه مئات الأسئلة عنها: كيف يمكنها أن تفكر بالزواج من شخص ما، وهي تتجاوب معه بمثل هذا الشوق؟ على الرغم من أن الأمر لم يتعد لحظات قليلة. فكر أن هذه المرأة الثائرة تشتعل ناراً، ولمحة واحدة من هذه النار ملأته شوقاً. ابتعد عن الباب وفتحه تاركاً هواء الليل البارد يخفف من شدة شوقه إليها.

- أعتقد أن ذلك واضح.

شعر بجفاف في فمه، لذا لم ينظر إلى عينيها، وهذا أمر جديد عليه. شعر أنه لو نظر إلى عينيها فإنه سوف يعانقها من جديد. أما آمي فسرى الغضب في داخلها كما تسري النار في الهشيم. أراد أن يبرهن لها أمراً ما، فعانقها. اتهمته أنه بارد وبلا عاطفة وغير قادر على تفهم مشاعر الآخرين، فرد عليها بقسوة ليثبت لها خطأها، أما آمي فبادلته عناقه بدلاً من أن تبعده عنها. في اللحظة التي لمسها فيها غمرها إحساس غريب جعلها تتجاوب معه. قالت وهي تشعر باشمئزاز من نفسها: «أنت لا تقبل الجدل أو الانتقاد. أليس كذلك؟ هذا هو أسلوبك في التعامل مع الأمر!»

هذه المرة لم يحاول الإجابة، بل تابع سيره حتى أصبحت إحدى قدميه خارج المنزل. حرك الهواء شعره فمرر يده في خصلاته بعصبية وأجاب: «ربما ما تقولينه صحيح. لكنني أتساءل لماذا بادلتني العناق كما فعلتِ؟»

- أعتقد أن الوقت حان لتغادر.

- فكري بالأمر! ما مدى قوة العلاقة التي تربطك بخطيبك العتيد، ما دام رجل آخر يستطيع أن يعانقك بمثل هذه الحرارة؟

تمتمت قائلة وقد تورد وجهها من الاحراج: «أنت فاجأتني... هذا كل شيء».

رفع كتفيه وقال: «حسناً!»

لقد فاجأته هي أيضاً، كما أنه شعر بالذهول لتأثره بذلك العناق. لو لم

ترجع آمي إلى رشدها بسرعة وتبعده عنها لاستمر في عناقها وطلب المزيد.

كاد يضحك بصوت عالٍ وهو يسير بخطى واسعة نحو سيارته. روكو لوسي، الشاب الأكثر شهرة في نيويورك. إنه كالأسطورة في علاقاته مع النساء، ما جعله يشغل غلاف صفحات مجلات نسائية عدة بمغامراته مع أكثر من فتاة في وقت واحد.

قال بصوت مرتفع: «لا تنسي أمر الاجتماع الذي أرغب بأن يحضره جميع أعضاء فريقك. سأطلب من سكرتيرتي أن تتصل بك غداً لتحديد موعد مناسب».

في تلك اللحظة أغلقت آمي الباب شاعرة أن عناقه أحرق بشرتها. بعد قليل أخذ جسدها يستعيد إحساسه القديم، ولم يعد يبدو كشمع تعرض للذوبان. أما روكو فبدا هادئاً حين عاد ليبحث أمر العمل ببرودة أعصاب، وليس من المستبعد أنه يخطط لما سيفعله في اليوم التالي.

بعد مرور نصف ساعة استلقت آمي في السرير واندست تحت الغطاء. خلال ذلك الوقت أقنعت نفسها أنها تستطيع التصرف ببرودة مثله، وعلى الرغم من انزعاجها، تمكنت من النوم بارتياح، بدون أي أحلام تقلق راحتها على امتداد ست ساعات كاملة.

تمنت فقط لو أن الوقت طال قليلاً عندما أجبرت على الاستيقاظ بسبب اتصال هاتفي، إنه سام! كان رأسها ما يزال مليئاً بصور للمتفاخر روكو، لدرجة أنها احتاجت إلى عدة لحظات لتتمكن من الإجابة والتركيز على سؤال سام عن كيفية سير الأمور مع الثعلب السيء المتفاخر، وإن كانت تستطيع لقاءه في وقت متأخر، بعد انتهائها من عملها.

- كنت لأتصل بك في وقت متأخر اليوم على هاتفك النقال، لكنني في يوم عمل كامل، وأنت تعلمين كيف تجري الأمور هناك.

بالطبع! هي تعرف ذلك، أعمال مملة مع طعام بارد عادي على الغداء، سيتناوله سام بحيوية بالغة وهو يشرق بالفرح، لأنه محاط بعشرات من زملائه الذين يتصفون بالصبر مثله.

تفاجأت آمي من إحساسها بالانزعاج من هذا الشعور المفاجئ. جلست باستقامة على الفور وركزت اهتمامها على ما يقوله. أخيراً وافقت على لقائه عند الساعة السابعة في المكان المعتاد لتناول البيتزا، مع أنها تفضل أن تنهي أعمالها المكتبية. توقعت أن يطرح أسئلة عليها بشأن وجود روكو في منزلها في تلك الساعة المتأخرة، لكنه لم يفعل.

في الوقت الذي انتهت فيه من التحدث مع سام، أصبحت مستيقظة تماماً، إلا أنها شعرت بإحساس غريب من الانكماش. قالت لنفسها وهي تحضر نفسها للذهاب إلى العمل: «إن نوبات الغيرة أمر سيء، أما الهدوء والثقة بالآخر فهما أمران جيدان» هذا ما كررته على نفسها في فترات متقطعة طوال النهار، ولم تتخلص من ترددها إلا عندما رن جرس الهاتف في مكتبها في الساعة الرابعة والنصف. وسمعت ذلك الصوت المنخفض العميق الذي يجعل قلبها يضطرب في صدرها... صوت الرجل الذي عانقها ليبرهن أمراً ما... الرجل الذي يطلب اجتماعاً مع فريق عملها ليخبرهم بنفسه ما أخبرها به. قال لها: «إنني منشغل طوال ما تبقى من هذا الأسبوع».

تخيلته جالساً بارتياح على كرسيه، وعيناه نصف مغمضتين وهما تحدقان بشاشة الكومبيوتر بينما عقله اليقظ بالكاد يصغي إليها.

- إذاً سيكون الاجتماع في الأسبوع المقبل. أليس كذلك؟

قلبت أوراق مفكرتها وهي تفكر بتلك المشاعر اللعينة التي سيطرت عليها عندما عانقها.

- لدي متسع من الوقت بعد ظهر هذا اليوم.

- بعد ظهر هذا اليوم؟ يبدو أنك لا تدرك كم الساعة الآن. فترة بعد الظهر كادت تنتهي.

- أحقاً؟ يمكنني الوصول إلى مكتبك عند الساعة السادسة.

قالت آمي بلباقة: «هذا أمر صعب».

تساءلت إن كان صبر سام يتحمل إلغاء موعد جديد، ثم فكرت أن لا

خيار لديها إلا أن تلقاه مهما كلف الأمر، فعلاقتهما لا مستقبل لها. عليها أن تخبره بأن لا جدوى من البقاء معه وإعطائه فرصة ليغذي أفكاراً غير صحيحة في ما يتعلق بعلاقتهما التي يبدو بوضوح أنها لن تنتهي إلى الزواج.

- أحقاً؟ أخبريني، ما السبب؟

- نصف أعضاء الفريق غادروا لأن لديهم ما يشغلهم.

- اتصلي بهم على هواتفهم النقالة، واعلميهم أن عليهم الحضور إلى المكتب عند الساعة السادسة من أجل اجتماع هام. أعتقد أنهم سيشعرون بالسعادة نظراً لأن مستقبلهم يتوقف على هذا اللقاء، فهو سيكون موضوع البحث. وسأدعوكم جميعاً لتناول العشاء بعد ذلك.

- ألكي تخفف من وقع الصدمة؟

- توقفي عن معاملتي كعدو.

حرك روكو شريط الهاتف بانزعاج. شيء ما حدث ليلة البارحة، لكنه لا يعلم بالتحديد ما الذي حدث. هو ليس متأكداً، لكنه يعلم أنها تتراجع عن موقف اتخذته، وهو لن يدعها تفعل ذلك. بطريقة ما، هو يهدد أمنها، وهذا التهديد لا يقتصر على مجال عملها، لكن الهرب لن يساعدها. تساءل بتوتر، من أين جاءته هذه الرغبة بمساعدة الآخرين؟ ولماذا يعطيها هذا الحيز من وقته فيما لديه عشرات الأمور المهمة التي عليه القيام بها، كاتفاقات عليه دراستها، ومؤتمرات تؤمن له مبالغ طائلة من المال عليه تنظيمها، كما لديه على الأقل رحلتا عمل سوف تؤمنان له شهرة عالمية؟

- حسناً! حسناً! أنت على حق.

توقفت آمي عن المقاومة فجأة، وكأن هناك مشاريع أخرى في ذهنها. ستعمل على جمع الفريق، أما هي فبإمكانها أن تذهب إلى ذلك اللقاء مع سام لتنتهي من موضوع الزواج. ليس لدى روكو لوسي أي شيء جديد يخبرها به، فقد سمعت كل ما لديه من قبل، وبإمكانها أن تلخصه ببضع جمل صغيرة. فالرجل آلة لصنع المال، ويملك قلباً كالحجر، وهو مصمم على إقفال مشروعها في الشركة مهما كلفه الأمر. وهو سيفعل ذلك مع ابتسامة

انتصار على وجهه.

- إذاً أتوقع أن أراك هناك.

وجد روكو نفسه يتطلع بشوق لرؤيتها، وتساءل بضيق إن كانت نزعتها لمساعدة الغير قد وصلت إليه بطريقة ما.

تخطت آمي السؤال بسرعة وهي تجيب: «سأحرص على ابتياع القهوة قبل الموعد المقرر! لا يمكنني القول إن الفريق سيسعد بالتواجد هنا بعد دوام العمل، لكن من الأفضل لهم أن يسمعوا الأخبار الباردة من فم الحصان نفسه بدلاً من سماعها من شخص ثانوي مثلي».

- عمَّ تتحدثين؟

سؤال جيد! فكرت آمي أن صوته الرخيم على الهاتف كافٍ ليجعلها تتصبب عرقاً. قالت: «هل يمكنك أن تعطيني وقتاً محدداً لوصولك؟ لا أريدهم أن ينتظروا حتى ساعة متأخرة من الليل، فمارسي لديها التزامات في المنزل، وعليها أن تتصل بجليسة أطفال».

- لن أتأخر عن الساعة السادسة والنصف.

في ذلك الوقت كانت آمي في منزلها تستعد للقاء سام. جمعت فريق عملها، وشرحت لهم أن الرئيس يريد رؤيتهم، ما أدى إلى الكثير من التعليقات الساخرة. أكدت لهم أن حضورها غير ضروري لأنها سمعت كل ما يريد قوله في الموضوع عن عملهم غير المريح. اعترفت لأصدقائها وزملائها في العمل أن من الأفضل لها أن تمضي وقتها مع سام في مطعم البيتزا حتى تتمكن من فسخ علاقتهما. مرت النصف ساعة الأخيرة وهم يقدمون آراء مختلفة حول سام وحول طبيعة العلاقات بشكل عام. فكرت الآن وهي تحدق بانعكاس صورتها في المرآة أن هؤلاء الأشخاص الخمسة، هم بمثابة عائلتها. الآن، بعد أن تحدد موعد رحيل أنطونيو إلى إيطاليا، لن تتمكن من الاتصال به إلا عبر الهاتف أو عبر الرسائل الإلكترونية، فلا عجب أنها تحاول بقوة أن تحميهم وتحتفظ لهم بأعمالهم. هذا أمر لا يستطيع روكو لوسي، أن يفهمه. تراءى لها ذلك الوجه القوي العملي أمام وجهها

على المرآة، فشعرت بقلق عميق وهي تتساءل إن كان قد وصل إلى المكتب، وما الذي ستكون عليه ردة فعله عندما يكتشف أنها ليست هناك؟ ازداد قلقها ما إن فكرت في الوقت العصيب الذي ستواجهه مع سام. لطالما كان سام مثالاً للطف والتفهم، لكن لم يخف عليها أن تحت ذلك اللطف وتلك الوداعة هناك طبع مولع بالخصام والشجار وشيء من ضيق الأفق والتفكير. ضيق الأفق والمشاكسة هما عدوا الحياة المسالمة والسعادة الأبدية! هذا ما فكرت به وهي تخرج من منزلها وتتوجه نحو سيارتها.

وجدت سام بانتظارها في مطعم البيتزا، بعد إن علقت في زحمة السير لمدة خمس عشرة دقيقة. للحظة، وجدت آمي نفسها تقارن ما بين سام وروكو، ثم تحركت باتجاهه وهي تبتسم بقلق وبقلب يرتعش من الخوف.

نظر سام إلى ساعته بمرح وقال: «أنت متأخرة حوالى عشرين دقيقة».

- واجهت زحمة سير.

لم تلاحظ آمي من قبل كم يبدو هذا المكان قديماً.

وقف سام ليرحب بها. تراجع على كرسيه ونظر إليها وهويقطب جبينه: «تبدين متعبة. أعتقد أن الأمور لا تسير بالطريقة التي تريدينها مع الإيطالي؟»

- اسمه روكو، سام.

ابتسم لها وهو يغمزها، كأنه يدعوها لمشاركته الابتسام والمرح، ثم مدّ يديه ليغطي يديها معاً. سحبت آمي يديها بلباقة ووضعتهما بحذر في حضنها. تساءلت، كيف ستتمكن من القيام بذلك؟ يبدو أن سام لم يلاحظ مدى انزعاجها، فقد تحدث لمدة عشرين دقيقة عن عمله وعن أصدقائه الذين التقى بهم، حتى إنه صرف النادلة لأنه منشغل بالتحدث ولا وقت لديه الآن لتناول الطعام، أما هي فبالكاد تلفظت بكلمة منذ وصولها.

أخيراً، عندما ساد الصمت بينهما لفترة قصيرة، مالت إلى الأمام، محاولة أن تشد انتباهه إليها. قالت وهي تضع يديها فوق يديه: «اسمع! فكرت بالأمر كثيراً، وهناك شيء ما أرغب في قوله لك».

٦- لماذا أتيت؟

لم يجد روكو صعوبة في الوصول إلى المطعم الذي يقع على الطريق العام مباشرة، ولا في إيجاد سام وآمي. بدا المطعم شبه خالٍ، رأى نادلتين يافعتين واقفتين أمام الآلة الحاسبة وهما تتحدثان في أمور مختلفة وعابرة، أما الزبائن - وهم ثمانية بالتحديد - فإنهم يتحدثون بأصوات منخفضة تجعل الداخل إلى المكان يظن أنه داخل مكتبة غريبة لولا الديكور الخاص بالمطعم.

لاحظ من زاوية عينه، أن هناك بعض الاضطراب والحركة قرب الآلة الحاسبة، وما لبثت إحدى الفتاتين أن اقتربت منه. نظر إلى المكان بتمعن وتوجه مباشرة نحو الطاولة التي يجلس إليها شخصان منشغلان بالحديث ورأساهما متقاربان. وصل روكو في الوقت المناسب ليسمع آخر جملة من آمي، ففهم جيداً ما الذي ترغب في قوله. شعر بموجة من الغضب تجتاحه، وللحظة كادت تسمره مكانه. لكن حياة كاملة من السيطرة على النفس حتى في أصعب المواقف جعلته يمسك بزمام الأمور ويعود إلى طبيعته من جديد.

لم يلاحظه أي منهما، فهما منشغلان ببعضهما تماماً كما يجب أن يكونا. فكر بضيق وانزعاج أنه سيقاطع المشهد الغرامي بفرض نفسه عليهما، فقبول عرض الزواج يحتاج إلى تركيز وانتباه.

- هل أقاطع أمراً مهماً؟

نظر روكو إليهما بهدوء وتكاسل واضحين، وقبل أن يجيب أي منهما سحب كرسياً وجلس عليه.

آمي هي من كسرت الصمت المزعج، وقد أدركت - على الرغم من

توترها الشديد من جراء مقابلتها لسام - أنها تشعر بضيق شديد حيال ما سيفعله روكو عندما يكتشف غيابها عن اجتماعهما المتفق عليه. والآن علمت جيداً ما الذي يستطيع فعله.

- ما الذي تفعله هنا؟ وكيف تمكنت من إيجادي؟

لديها قدرة هائلة على طرح الأسئلة. أليس كذلك؟ تراجع روكو على كرسيه، واستدار لينظر إلى سام. تماماً كما توقع... إنه رجل عادي لا يتميز بأي نشاط أو قوة، وكأن الاستسلام والخضوع مكتوبان على جبينه، مع اندفاع بارز لفكه وكأنه تلقى لكمة قوية من الحياة. سبق لروكو أن التقى بالعديد من أمثاله، فهؤلاء الأشخاص يتهجمون بقوة على الأثرياء مظهرين مساوئهم، ولا يجرؤون أبداً على وضع هدف كبير أمامهم خوفاً من الفشل. فالتذمر والخنوع هما دائماً أكثر أماناً من الانطلاق نحو النجوم. استدار لينظر إلى وجه آمي الغاضب، ولاحظ كيف خطفت يديها بسرعة من بين يدي خطيبها. شعر من جديد بذلك الاحساس العنيف المبهم الذي يدفعه ليجذبها بعنف من تلك الهاوية التي يبدو بوضوح أنها تندفع نحوها. حل المشاكل الشخصية لموظفيه ليس من ضمن اهتماماته، لكنه يستطيع القيام باستثناء لمرة واحدة. كما أنها ستشعر بامتنان لا حدود له في المدى البعيد. قال معرفاً عن نفسه، ومتخلياً عن فكرة مصافحة سام: «أنا روكو لوسي، ولا بد أنك سام».

- لم تجب عن سؤالي بعد؟

- سأفعل بعد دقيقة واحدة. لكن أولاً أريد شراباً ما.

أدار رأسه لينظر إلى النادلة التي أسرعت نحوه وهي تبدو مبهورة. راحت ترتب ثوبها وهي تقترب، فطلب روكو عصيراً طازجاً، متجاهلاً اعتراض سام بقوله إنه يريد تناول الطعام، فعلق روكو: «سينعشك العصير».

قال ذلك بتفاخر جعل آمي تحدق به بغضب، لكن ذلك لم يؤثر به لأنه لم يكن ينظر إليها بل تابع محدثاً سام: «إلا إذا كنت من هؤلاء الأشخاص

الذين يهتمون بصحتهم بدقة متناهية. على أي حال، إن بعض الاغواء ينعش الروح أحياناً».

– نحن سعيدان جداً بسماع هذه الأقوال الحكيمة منك، لكن هل يمكنك أن تخبرني ما الذي تفعله هنا؟

لم تستطع آمي حتى أن تخبر سام ما أرادت أن تخبره إياه.

– كان لدينا اجتماع عمل...

قاطعه سام بغضب: «اجتماع تم تعيينه خارج أوقات الدوام! آمي ليست مجبرة على العمل بعد الساعة الخامسة بعد الظهر. من الساعة التاسعة حتى الساعة الخامسة، هذه هي ساعات العمل المطلوبة منها».

حدق روكو به للحظات، ثم تجاهله تماماً: «فوجئت أنك غير موجودة، لاسيما أنك تعرفين رأيي بالموظفين الذين لا يظهرون استعداداً للعمل بتفانٍ».

تمنت من أعماقها أن يصمت سام. أرجوك لا تقل أي شيء! قالت بهدوء كأنها تعتذر: «لم أعتقد أنك ستضيف أي شيء جديد على المعادلة. كما أنني لم أفكر أن أحداً سيفتقدني».

أرادت فقط أن تتخلص منه حتى تتمكن من توديع سام، كي لا تترك هذا الموضوع معلقاً فوق رأسها لوقت أطول.

أكمل روكو في سره: بالطبع! ستسرعين في الاستعداد لوضع خطط للزفاف، وهذا أمر أكثر إثارة من عمل لا تستطيعين الحفاظ عليه بعد أن علمت برغبتي في إنهاء خدماتك! نظر إليها ببرودة، وقال: «فريق عملك لا يوافقك الرأي، ولهذا وافقوا على إخباري إين يمكن أن أجدك».

راقب تصلب كتفيها، وفي تلك اللحظة وصل الشراب. رشف القليل منه، ولاحظ أنهما تركاه يشرب بمفرده وهما ينتظران مغادرته بتهذيب. فجأة شعر روكو بالحزن يغمره بطريقة ما.

هو لم يشعر مطلقاً بالحزن من قبل... تباً! فهو أكثر الاشخاص حيوية وثقة بالنفس. إنه يعمل بلا انقطاع، ولديه من المال ما يجعله يعيش وينفق في

أفخر الأماكن في العالم. الجميع يحترمونه ويعجبون به، أما هو فيتودد إلى النساء ويستمتع برفقتهن من دون أي وعد بالارتباط. ذكره صوت داخلي في أعماقه أن الحال ليست كذلك في علاقته بوالده، كذلك الأمر مع هذه المرأة التي تجلس بقربه، والتي ترغب في أن تمسك بيدي حبيبها في اللحظة التي يدير ظهره فيها. وقف على نحو مفاجئ دافعاً بالكرسي إلى الوراء، ثم نظر إليهما قبل أن يقول: «ربما بإمكانك أن تقصدي مكتبي غداً، إن وجدت وقتاً كافياً في حياتك الشخصية المنشغلة».

اعترضت آمي وقد تورد وجهها من الغضب: «هذا ظلم!»

قال سام وهو يشعر بالانزعاج لأنه بدا دخيلاً بينهما: «تعمل آمي لساعات طويلة تفوق ما هو مطلوب منها، سيد لوسي. كما أن والدك لم يشك يوماً في ولائها لعملها».

– أنا قادرة على الدفاع عن نفسي، سام!

جاء صوتها متوتراً وحاداً. لاحظ روكو ذلك فشعر بالرضى، لكن وجهه بقي بدون أي تعبير عندما استدار نحو سام. مال برأسه إلى جهة واحدة، ليظهر مدى اهتمامه.

– آه، لا! أنا أرحب بتعليقك، سام. فأنا أحرص دائماً على سماع وجهة نظر فريق ثالث.

– سأكون في مكتبك عند الصباح، إذا كان ذلك يناسبك.

قذفت آمي الكلمات بوجهه راغبة في إنهاء هذا الحديث بيأس شديد، في حين راح روكو يحدق كنمر مفترس بعينين ثاقبتين بضحيته البريئة.

علق سام وقد بدا أكثر سعادة بأن يشرح وجهة نظره: «حسناً! أنا سعيد جداً لسماع ما تقوله سيد لوسي، لأن من هم في مثل مركزك لا يعيرون أية أهمية للدور المهم الذي تلعبه المرأة في مجتمعنا هذه الأيام، كما أنهم يشعرون أن لا حاجة لسماع ما يقوله الأشخاص العاديون عن الأمور..».

تأوهت آمي بصمت بينما ظهرت على وجه روكو ملامح اهتمام شديد بما يقوله الرجل الآخر. مع العلم أن نظرة واحدة قادرة على حمل كل

الانتقاد والسخرية معاً. لا بد أن روكو سيد في هذا المضمار، هذا ما فكرت به شاعرة بعداوة شديدة له. لم تعلم إن كان عليها أن تكون سعيدة أم حزينة لأن سام - كما يبدو بوضوح - لم يفهم ما الذي يجري في الخفاء. أصغت إليه وهو يثرثر لعدة دقائق، ولم تجد الطاقة الكافية لتعترض. في النهاية، وبعد فترة بدت لها غير محددة من الزمن مرر أصابعه بلطف بين أصابعها.

قال وهو يبتسم بلطف لروكو: «أنا وآمي لدينا الكثير من الأمور لنبحثها معاً. وهذا هو سبب تخليها غير المعتاد عن عملها هذه المرة. وتلك ليست عادة لديها، أؤكد لك!»

- أنت على حق. لذا سأترككما لتبحثا ما تشاءان. أليس كذلك؟

وضع روكو يديه في جيبي سرواله، وابتسم لهما بتصنع واضح، ثم أومأ برأسه نحو زجاجة العصير وتابع: «بإمكانكما أن تشربا نخب حديثكما على حسابي».

- قد نفعل ذلك فعلاً.

سار روكو بخطى واسعة مغادراً من دون أن ينظر إلى الوراء للمحة واحدة. سيترك الآنسة وشأنها لترتكب ما تشاء من الحماقات. جلس وراء المقود في سيارته وأغلق الباب بعنف. إنها شابة، ولديها وقت طويل لتندم على ما تقوم به، وبالطبع سوف تندم. سار مبتعداً عن المدينة، وفكر بإمكانية الذهاب إلى ضاحيتها. اتخذ الانعطاف التالي، وتوجه مباشرة إلى ذلك المكان حيث تناول هو وآمي العشاء من قبل. وجد المطعم مليئاً بالضيوف، وهذا تماماً ما هو بحاجة إليه. طلب لنفسه شراباً وجلس في إحدى الزوايا تاركاً أفكاره تقود إلى حيث تشاء... إلى مناطق مجهولة هو متأكد أنه لم يقترب منها من قبل... أو على الأقل، منذ فترة طويلة جداً. أعادته أفكاره إلى الماضي البعيد، إلى أيام مليئة بالشك والقلق... أيام طبعت علاقته بوالده. عاودته ذكريات حزينة تعود إلى فترة المراهقة، حيث تحول الشك والقلق إلى غضب وتصميم قوي على المثابرة والتفوق، وهذا ما

فعله بمهارة وقوة حازتا على إعجاب الجَميع. وجد في نيويورك ملاذاً. لكن، ما الذي حصل عليه بعودته إلى هنا؟

بحث عن الدفتر الذي أخبرته عنه آمي، فوجد نفسه وحياته كلها بين صفحاته. وجد تاريخه كله هناك، ما إن أصبح اسمه في نيويورك ينمو ويظهر في مجال عمله. أحداث بالكاد يتذكرها هو نفسه وأعمال تحدثت عنها الصحافة ملتقطة له الصور لتضعها في أعمدة الأحاديث والمبالغات. كلها مجمعة حسب الترتيب الزمني وملصقة بعناية على صفحات دفتر سميك. رأى صوره وهو في السابعة من عمره، مرتدياً زياً مدرسياً وحاملاً حقيبته، جاهزاً لمواجهة العالم السيء الكبير في مدرسة داخلية. يا إلهي! لا يستطيع أن يتذكر حتى من التقط له تلك الصورة!

بالكاد تحدث مع والده منذ عودته إلى إنكلترا. تبادلا فقط حديثاً عادياً لا يتعدى العموميات، وفي معظم المرات كان هناك شخص آخر معهما. مر الوقت وهو جالس مع أفكاره، أما فكرة العودة إلى المنزل فلم تثر فيه أي حماس. أخيراً اكتفى من هذه الرحلة الخاصة في ممرات ذاكرته، وفكر أنه بحاجة إلى رفقة ما. لسوء الحظ أنه ترك حياته الاجتماعية وراءه في أميركا. لو أنه هناك لوجد عدداً لا يحصى من الأشخاص الذين يستطيع الاتصال بهم، من دون ذكر عدد النساء اللواتي سيسعدن بالقدوم سريعاً إليه ليخلصنه من أفكاره المملة. أما هنا فهو بحاجة ماسة إلى الحياة الاجتماعية، إذ افتقد إلى رفقة الجنس الآخر خلال المناسبات التي حضرها والتي تتعلق بالعمل. أخذ يفكر وهو يقود سيارته بالبيت الفارغ الذي ينتظره، ولمعت في رأسه فجأة فكرة الذهاب لزيارة آمي لفترة قصيرة. كلما فكر بالأمر، كلما وجد أن الفكرة مناسبة جداً. لم يعرف لماذا، لكنه لم يتوقف ليسأل نفسه عن السبب. لم يكن دماغه في حاجة إلى المساومة في هذه اللحظة، فطرح الأسئلة على نفسه الآن ليس بالفكرة الجيدة. قاد السيارة بهدوء من دون أن يمعن التفكير بالأمر.

بعد مرور نصف ساعة سمعت آمي طرقاً على باب منزلها، فتأوهت

بضيق وبعدم صبر من شدة خيبة أملها. كانت الساعة والنصف الماضيتين أطول فترة عاشتها في حياتها. كيف تراها تخيلت يوماً أن سام يتحلى بروح التوازن ورباطة الجأش؟

ما إن غادر روكو طاولتهما، حتى جلس سام بارتياح وعلى وجهه ابتسامة تدل على الرضى والثقة بالنفس. بدا مشتاقاً لسماع ماهو متأكد من حدوثه، ألا وهو موافقتها على عرضه الزواج منها. بعد أن شرحت له آمي بهدوء أنها لن توافق على الخطوبة وأنها لم تفكر بعد بالزواج أصلاً غابت الابتسامة عن وجهه لتحل مكانها تعابير عدم تصديق ما يسمع وما يرى. قال متلعثماً: «لكنني لا... لا أفهم... فنحن متفقان في آرائنا، وأنت أول من قال كم نحن متفقان!»

- أجل، لكن...

تكررت هاتان الكلمتان كثيراً مع كل اعتراض يقدمه. فهما يفهمان جيداً ثوابت عمل بعضهما البعض. أجل، لكن... لديهما طموح مشترك في الحياة، أو هكذا تخيلا دائماً. أجل، لكن... لا أحد منهما يدخن. أجل، لكن... أخيراً، أجبرت على عدم الموافقة معه بشكل كامل، فهي ببساطة ليست مغرمة به، وفي تلك اللحظة انعطفت الأمور بسرعة نحو الهاوية. غابت ملامح الاستغراب عن وجهه ليحل محلها غضب صارخ. تلون وجهه ببقع داكنة واندفع نحوها متهماً إياها بأنها كانت تغويه، وتعطيه انطباعات مزيفة، وأنها استغلت طبيعته الجيدة. أصغت إليه آمي بصمت كالمصعوقة، وفي نهاية الأمر غادرت المطعم بعد أن تحول اتهامه إلى إهانات شخصية حين قال لها إنه يجدر بها أن تشعر بالامتنان لأنه طلب الزواج بها، وإنها تواجه خطر أن تصبح عانساً مرتبطة بعملها فقط ولا وقت لديها لأي رجل.

إن كان هو من يطرق الباب طالباً منها فرصة أخرى، فهي تستطيع أن تكون قاسية وظالمة أيضاً.

شعرت آمي بالألم يعتصرها، لكنها تحررت من ذلك الوهم الكبير.

وصلت إلى منزلها وهي تشعر كأنها ملوثة. نزعت ثيابها بسرعة ووضعتها في الغسالة، وكأن غسلها جيداً سيحررها من تلك الذكريات السيئة، والآن ها هي ترتدي سروالاً رمادياً قديماً وقميصاً فضفاضة.

فتحت الباب قليلاً فيما تركت السلسلة معلقة في مكانها، ما سمح لها بأن ترى أن الرجل الذي يدق بابها ليس سام. حل الشك مكان الاحساس بالارتياح بسرعة فائقة.

- ما الذي تفعله هنا؟

لم يستطع روكو إيجاد جواب منطقي، فهو نفسه لا يعرف الجواب. اتكأ بتراخٍ على إطار الباب وحدق بها، بكل ما لديه من غموض وجاذبية لا تقاوم.

- هل ستسمحين لي بالدخول؟ لماذا تضعين سلسلة على باب بيتك، على أي حال؟ المكان خطر هنا. أليس كذلك؟ أم أنك تريدين إبقاء بعض الناس بعيداً عنك؟

قالت بتعمد: «شخص واحد أو اثنان».

- حسناً! هل ستدعيني أدخل، أم أنني أقاطع شيئاً ما؟

جالت عيناه عليها، ولاحظ أنها بدلت ثيابها فتمتم متابعاً: «لا أعتقد أن ثيابك هذه مناسبة للاغواء، لكن من أنا لأقول ما الذي يؤثر في الناس أو يعجبهم؟»

وضع يديه في جيبيه، وحرك كتفه قليلاً لتصبح بحاجة إلى دفع الباب بقوة إن أرادت فعلاً إغلاقه بوجهه. قالت آمي بغضب: «أنت لم تقاطع أي شيء».

نزعت السلسلة وفتحت الباب على مصراعيه حتى يتمكن من الدخول، ثم تابعت: «ولا داعي لتكون مثيراً للاشمئزاز».

استدارت لتسير أمامه، فسمعته يقول من أمام الباب: «لم تكن العلاقات الحميمة مثيرة للاشمئزاز يوماً، حتى لو كانت تمارس في ثياب بالية وغير أنيقة».

– ما الذي تفعله هنا؟ لا، لا داعي لأن تقول. أتيت لتخبرني بما قلته في الاجتماع الذي كان عليّ حضوره، لكنني كنت طائشة جداً ولم أذهب إليه. ألا تتوقف عن العمل أبداً؟

اتجهت نحو المطبخ، وما إن استدارت حتى أدركت أنه قريب جداً منها فكادت تصطدم به. تمنت لو أنها لم تطرح عليه سؤالها المتعلق بعدم توقفه عن العمل، لأن نظرة عينيه الغامضتين وهما ترمقانها أصابتها بالدوار. سألت بسرعة: «أترغب في شرب القهوة؟»

أسرعت بالابتعاد نحو إبريق القهوة وهي تشعر بارتياح عميق، ثم تابعت: «اجلس إلى الطاولة، واخبرني ما الذي قلته. مع أنني أنوي الذهاب إلى المكتب صباح الغد لأعلم ما الذي حدث».

شغلت نفسها بإحضار الفنجانين، وهي تدرك أنه يراقب كل حركة تقوم بها بعينيه الرائعتين. بدا منهكاً قليلاً، لكنه أصبح أكثر جاذبية. قال روكو وهو يمد ساقيه الطويلتين أمامه ويعقد أصابعه في حضنه: «اعتقدت أنك هنا مع صديقك».

– لماذا أتيت إذاً؟ ألكي تتمكن من التهجم عليه مرة ثانية؟

ما إن ذكر موضوع سام حتى شعرت بتوتر شديد، فهي لا تريد التحدث عنه، كما أنها لاتستطيع الاعتراف بما قاله لها. فتلك الإهانات التي رماها بها قريبة جداً من واقعها الفعلي، وهي لا تريد الاعتراف بفشلها كامرأة. ليس بعد... ليس لنفسها، وبدون أي شك ليس للرجل الجالس هنا في مطبخها، والذي لم يعانِ مطلقاً من أي إحساس بالفشل في حياته من قبل. ذكرت نفسها أنه ليس هنا بسبب حياتها الشخصية، بل أتى من أجل هدف واحد هو العمل.

– أهذا ما فعلته؟

أجابت آمي بحدة: «تعلم أنك فعلت ذلك. ذلك الاهتمام الظاهري بما يقوله: السيد العظيم يلتقي بشخص عادي ويظهر اهتماماً بما يقوله!»

وضعت الفنجان بقوة على طاولة المطبخ، وتمتمت كلمة اعتذار لا

تعنيها. ظهرت القسوة على ملامح وجه روكو، وفكر أن قدومه إلى هنا ليس بفكرة جيدة على الإطلاق. الاصغاء إليها وهي تدافع عن صديقها بعد بقائه من دون رفقة امرأة لفترة طويلة نسبياً يسبب له صداعاً قوياً.

– أتمانعين إن شربنا القهوة في غرفة الجلوس؟

أدار ظهره للاعتراض الذي بدا على وجهها وسار مباشرة نحو غرفة الجلوس، حيث عمل على احتلال الأريكة الطويلة، ومدَّ جسمه عليها حتى لامست قدماه ذراع الأريكة المقابل.

قال لها قبل أن تنهال عليه بهجوم جديد: «أعاني من صداع خفيف».

فكرت آمي بحيرة أنه لا يبدو منهكاً فقط بل أسوأ من ذلك. ربما الصداع هو السبب. ما إن رأته ممدداً على أريكتها يقاسي من صداع مرير، حتى شعرت كأنه نزع عنه كل التفاخر والسلطة وبقي ضعيفاً أمامها بطريقة غريبة.

– هل تريد دواء مضاداً للصداع؟ لدي أقراص منه في المطبخ.

– لا، لا داعي لذلك. سيزول الصداع بعد قليل، لكن لا تضيء الأنوار من فضلك. ليس الآن على الأقل.

هذا ترك الغرفة مضاءة فقط من خلال أنوار المدخل الأمامي. شعر روكو أن آلام رأسه المبرحة بدأت تزول بشكل تدريجي.

– وجدت تلك الأوراق.

– عفواً؟

مال روكو برأسه ليتمكن من النظر إليها، وشعر بالاعجاب بطريقة جلوسها على الكرسي وهي تميل نحوه لتسمع ما الذي يقوله.

– الدفتر الذي يلصق أبي عليه أوراق الجرائد. لا بد أنك علمتِ أنني سأبحث عنه.

بدا الارتياح على وجه آمي، وابتسمت له قائلة: «قليل من الاغواء ينعش الروح أحياناً! هذا ما قلته بنفسك. هل تريد أن تتحدث عن الأمر؟»

فجأة أصبح الحديث عن مستقبلها ومستقبل فريقها من دون أهمية.

الآن، كل ما تريده هو أن يتحدث روكو عن نفسه، وها هي تشعر كأنها تطل على هاوية سحيقة، ما جعل قلبها يدق بعنف وجعل حلقها جافاً جداً. قال روكو مجادلاً: «لماذا علي أن أتحدث عن ذلك معك؟»

- ما من سبب يدعوك إلى ذلك.

وضع ذراعه تحت رأسه وقال بصوت خشن: «لم أتوقع أن أجد كل تلك المقالات».

- إنه يعطي أهمية كبرى لكل ما تفعله.

تابع يخبرها: «هناك العديد من الصور أيضاً. لكن لا فكرة لدي لماذا أخبرك عن هذه الأمور بالتحديد».

لا تبدأي بتصور أفكار خاطئة! قالت بتعاون: «يمكننا أن نتحدث عن الاجتماع إن كنت تفضل ذلك».

رشفت من فنجانها وهي غير قادرة على إبعاد نظرها عنه. ضحك روكو بخشونة قبل أن يقول: «صور لي عندما كنت طفلاً صغيراً... حتى إنني لا أستطيع التذكر متى التقطت. بعضها يظهرني وأنا أقف أمام آلة التصوير مباشرة، لكن البعض الآخر التقطه الرجل العجوز وهو يقف في مكان لا أراه فيه. في هذه الصور أنا لا أنظر إليه ولا أعلم أن هناك من يراقبني».

- الوالدان يفعلان ذلك دائماً.

- لا! ليس والدي الذي أرسلني لأحزم حقيبتي وأرحل ما إن أصبحت قادراً على تحمل مسؤولية ذاتي. أراد التخلص من الولد الذي يذكره بزوجته الغالية التي توفيت أثناء ولادتي.

- يؤسفني ذلك.

عينان صافيتان ومليئتان بالفضول التقتا بنظرات عينيه بدون شفقة أو إصدار حكم ما.

- لا داعي لذلك، فلا علاقة لك بالأمر.

شعر روكو كأنه يخرج من جلده، فالبوح بأمور شخصية ليس من عاداته. إنه شيء يفعله أولئك الأشخاص الذين يتصفون بالرقة ويفتقدون

إلى القدرة على التعامل مع مشاكلهم الخاصة.

- لو أنه أراد التخلص منك فعلاً فلماذا التقط صوراً لك واحتفظ بها؟

سمع روكو نفسه يجيب بخشونة: «هزمتني!»

رفعت آمي كتفيها وسألته: «هل سألته عنها؟»

- ماذا؟

- هل سألته عن المقالات والأوراق الخاصة في ذلك الدفتر؟

- هل فقدت عقلك؟

- ربما عليك أن تفعل ذلك، وإلا فإنك لن تحصل على أجوبة للأسئلة التي تشغلك.

- إنه بحاجة إلى الراحة. كما أنه سيغادر قريباً إلى إيطاليا.

منذ وقت ليس بعيداً لم يكن أي شخص يجرؤ على قول مثل ذلك له، وإن فعل فإنه يتعرض إلى الصرف من عمله على الفور.

- بإمكانك أن تعطيه الوقت الكافي ليستقر، ثم يمكنك السفر إليه ورؤيته وجهاً لوجه.

الصمت الذي عقب كلامها بدا أكثر من كاف. استطاعت آمي أن تشعر بمقدار عدم الأمان الذي كان عليه عندما كان طفلاً وهي تواجه الرجل الآن. تركت كرسيها وسارت نحو الأريكة، وانحنت أمامه وشعرت برغبة قوية في أن تمد يدها وتلمسه. فكرت بتوتر أن هذا الضوء الخافت مناسب جداً للصداع، لكنه يثير اضطراباً في ذهنها وإدراكها. روكو لوسي بحاجة إلى مساعدتها تماماً كما يحتاج الأسد إلى النملة. أما وجودها هنا على بعد خطوة منه وقلبها الرقيق يدق بقوة فلا علاقة له مطلقاً بالتخفيف عنه في وضعه المحزن الحالي المؤقت. بدأت بالتحرك لتبتعد عنه قليلاً، ولم تكن مستعدة عندما مدّ يده وأمسك بيدها.

- لا! ابقي هنا. أحب ذلك... أحب أن تكوني هنا بالتحديد.

هنا تماماً... إلى جانبه. بوضوح جلي أدرك روكو لماذا أتى إلى هنا؛ إنه هنا ليجعلها ترى كم هي غبية لأنها وافقت على عرض سام بالزواج منه.

الشعور بالأمان أمر مهم بالتأكيد، لكنه لا يستحق أن يضحي الإنسان بحياته من أجله. لامس رسغها بنعومة فاتسعت عيناها من الدهشة. قالت مخطوفة الأنفاس: «أنت لا تريد التحدث عن الاجتماع».

أصابعه الطويلة أثارت فيها مشاعر مشابهة تماماً لتلك التي أثارها فيها عناقه من قبل، غير أن ما يحدث الآن مختلف، لأنه يحدث بهدوء وببطء شديد. قال روكو بنعومة: «ليس الآن».

مد يده ليتمكن من لمس خصلة من شعرها. بعدئذٍ دفعها بعيداً عن وجهها وسألها: «هل تشعرين بالأسف لأجلي؟»

- أظن ذلك. أعتقد أنك ووالدك ارتكبتما الأخطاء، لكن الكبرياء تقتل العلاقات. نحن جميعاً نخطئ... لأننا بشر.

أخفضت آمي جفونها وهي تفكر بالغلطة التي ارتكبتها، وبالغلطة الأكبر التي هربت منها، لأن الزواج من سام كان ليصبح أكبر غلطة في حياتها. لاحظ روكو كيف أخفضت جفونها، وشعر باضطراب عاطفتها. سيطر غضب قوي عليه لأنها لا تستطيع أن ترى الغلطة الكبرى التي تقدم عليها بنفسها. لمس خدها بنعومة، ثم جذبها نحوه ليعانقها بشوق لا مثيل له. فكر أنه عمل مشين فهي امرأة مخطوبة. يا إلهي! من المحتمل أنها حددت أيضاً يوم الزفاف! روكو رجل متملك بشدة، ولم يفكر يوماً في التقرب من امرأة متزوجة أو متعلقة برجل آخر، لكن هذه المرأة استثنائية. قال لنفسه إنه ينقذها من نفسها. سواء أدركت ذلك أم لا، فهي بحاجة إلى من ينقذها، وإلا لماذا تبادله العناق كما تفعل؟ ولماذا تقترب منه كأنها مشتاقة إليه؟

تأوهت آمي، وشعرت أن كل عصب في جسمها يرتجف. روكو ليس من نوع الرجال الذين تخيلت أنها تنجذب إليهم، حتى في أغرب أحلامها. أمضت سنوات عمرها وهي تعلم أن الأمان هو ما تحتاجه، فمعظم سنين عمرها مضت بدون أمان وبدون حب، ولطالما فكرت أنها بحاجة إلى إرساء علاقة متينة وآمنة، علاقة تحيط بها كالدثار. روكو لوسي لا يوفر لها الأمان، ولا يتبع قواعد اللعبة التي تعرفها. إنه قناص يرى ما يريده

ويأخذه على الفور، وما إن يحصل عليه حتى يمل منه ولا يجد أي سبب للاحتفاظ به. عليها أن تهرب بعيداً بأسرع ما يمكنها. لكنها تشعر بالضعف كما لو أنه أيقظ العواطف الدفينة في أعماقها. ضمته إليها وهي تشعر بسعادة عارمة.

تمتم روكو قائلاً: «يا إلهي! كم هو رائع هذا الشعور».

إنها تثير جنونه. لاحظ أنها لا تضع عطراً، فاشتم رائحتها الحلوة النقية. إنها تماماً كما تصورها: لا شيء اصطناعي حولها، وليس هناك أي جو مصطنع ليخلق أوهاماً غير حقيقية. لا عطور ولا أحاديث ملفقة غير صادقة.

سألها: «هل تشعرين بجمال اللحظة مثلي؟».

أراد أن يعرف الجواب قبل أن يضمها إليه بقوة أكبر ويغيب معها في عناق شديد.

تمتمت آمي بنعومة: «أجل».

جلست آمي على الأريكة شاعرة بالسعادة لأنها تتسع لهما معاً، فقد اشترتها بهدف الحصول على أريكة واسعة لتتمدد عليها وهي تراقب التلفزيون، ولتنام عليها عندما تشاء. لكن لا بد أنها صممت لتتسع لشخصين، وهذا يناسبها تماماً الآن لأن ساقيها الضعيفتين لم تعودا تستطيعان حملها.

قال لها: «لِمَ لا تسترخين؟»

سألته آمي وهي تشعر بالفرح من تصميمه الواضح وسيطرته: «هل تعطي الأوامر دائماً وأنت تتودد إلى النساء؟»

- ألديك اعتراض على ذلك؟

تحت الأنوار الخافتة، رأت فمه يتكور عن ابتسامة مشرقة، فهزت رأسها وهي تفكر أن كل ما يحدث معها يبدو غريباً. للحظات عدة وجدت كأنها تبتعد عن نفسها، فهي ليست المرأة الكفوءة التي تمضي معظم ساعات يقظتها وهي تفكر في مشاريعها فقط وفي الوسائل التي تطور وتحسن ما

تفعله. كما أنها لا ترى الفتاة الخجولة التي تبحث دوماً عن الحب الأبدي. بدلاً من ذلك رأت مخلوقة تتوهج من السعادة وعيناها تحدقان بفرح بالرجل الذي يعانقها.

٧- ما وراء الكلام

فجأة أصبحت الأريكة صغيرة جداً. مع أنها بدت كبيرة في البداية، لكن روكو يريد الآن أن يسترخيا معاً، ليضمها إليه براحة ويتحدثان. تساءل إن كان الجو النقي في المنطقة ساهم في تشتيت أفكاره عن تلك الحياة الصاخبة في نيويورك، فالإفصاح عن مكنونات قلبه ومشاكله للنساء ليس من عاداته. عليه أن يتوقف عن هذا التفكير قبل فوات الأوان. قال: «من الأفضل أن أغادر».

لامست أصابعه زاوية فمها وهو يشعر بالسعادة من نظرات عينيها الحالمتين. فكر أن دفاعاتها ما زالت مدفونة في صندوق مقفل في مكان ما من أعماقها.

قالت آمي وهي تبتسم: «أما أنا فأظن أنني سأكتفي بالنوم على هذه الأريكة الليلة بعد أن تغادر، فغرفة النوم في الطابق العلوي، ويبدو لي أن الطابق العلوي بعيد مليون ميل في هذه اللحظة».

- في هذه الحالة، أنت محظوظة جداً لأنني هنا، وحاضر لهذا التحدي. أنا مستعد لحملك مليون ميل لأوصلك إلى غرفتك.

حسناً! من الأفضل أن توقفه قبل أن تصل الأمور إلى نقطة حرجة بينهما.

ضحكت آمي قبل أن تقول: «آه! أنا أمزح بالطبع».

بعد قليل استدارت نحوه وقالت وهي تبتسم: «على أي حال عرضك هذا يتسم باحترام فائق للنساء. لكن ألا تخشى أن يتسبب بألم في ظهرك؟».

قال روكو بمرح: «رفعت أوزاناً أثقل بكثير من وزنك».

www.elromancia.com

- وهل تحب صديقاتك سماع هذا الكلام منك؟

تساءلت ولو بشكل غامض عن حياته الغرامية، مع أنها عرفت من خلال ما قرأته عنه عبر السنين أن مغامراته سطحية، وأنه لم تكن له يوماً علاقة وثيقة بأي امرأة. ولم تظهر أي صديقة معه في أكثر من مناسبة. أما الآن فهي تشعر بفضول عميق لتعلم لماذا لم يتمكن رجل مثله من الحصول على رفيقة دائمة مع أنه وسيم، ثري، جذاب ولطيف، ويملك كل الصفات التي تحلم بها كل امرأة.

- ربما لا، لكن بما أنني لم أكن أتكلم عن صديقاتي السابقات، فلا أهمية للأمر. في الواقع، أنا لم أحمل أي امرأة من قبل. أنت هي الوحيدة التي أرغب في حملها.

هذه المرأة ذات الجسم الرقيق الناعم تؤثر فيه بشكل قوي. فجأة أصبحت رغبته الدائمة بالنساء الفارعات الطول والمتأنقات سخيفة.

- أين حملت الأثقال إذاً؟

- اعتدت العمل خلال العطلة الصيفية في شركة للبناء. وكان نقل مواد البناء الثقيلة جزءاً من عملي. ولو أن ظهري لا يستطيع تحمل الأثقال لأصبت بآلام في الظهر منذ ذلك الحين. بالمناسبة، يعجبني منزلك. منذ متى تعيشين هنا؟

فكرت آمي أن هذا الرجل الجالس قربها لا يشبه مطلقاً الشخص الذي تخيلته. شعرت بإحساس من الحنان والدفء وهي تفكر به. تبع ذلك على الفور إحساس بالذنب، لأن سام لم يخرج من حياتها إلا منذ ساعات قليلة، وها هي تتصرف وكأنه غير موجود. ما الذي يفكر به روكو بشأنها؟ لمعت تلك الفكرة في رأسها فأبعدتها على الفور.

- منذ أربع سنوات تقريباً. كنت أبحث عن مكان لأشتريه. منزل صغير وعملي، وفي اللحظة التي دخلت فيها عبر الباب الأمامي أغرمت بالمكان، إنه مكان مثالي وحجمه مناسب جداً.

- وأنت تعملين في المكان المناسب تماماً لتتمكني من إصلاحه وتجديده.

- لم يتم ذلك مجاناً.

- اهدئي! أنا أمزح فقط. كل الشركات تفعل ذلك. يعجبني جداً ما فعلته. من الذي فكر بالباب الحديدي المزركش ليفصل الحديقة الداخلية عن بقية أجزاء المنزل؟

- أنا.

تمتم روكو قائلاً: «فتاة ذكية! أعتقد أنني ذكرت ذلك من قبل».

لسبب ما شعر كأنه لم يمر بتجربة مثل هذه من قبل، فهو لا يستطيع مقاومة ملامستها والتقرب منها ومعانقتها. وفجأة ألح عليه السؤال الذي بقي يدور في رأسه، وبدا كأنه بحاجة إلى إجابة على الفور. فصورة سام عادت فجأة إلى رأسه لتملأه بغيرة قاتلة، فسألها: «هل أقمت علاقة حميمة مع سام؟»

حاولت آمي أن تبتعد عنه لكنها لم تستطع، فقد ضغط بيديه على ذراعيها ولم يكن لديها أية فرصة للابتعاد، قال: «أجيبيني!»

آخر شيء تريده الآن هو التحدث عن سام، لكنها في المقابل تشعر بهدوء روكو وترقبه. كما تشعر بإحساس من الخطر يتسلل نحوها، ويذكرها أن اهتمامه بها ليس إلا حالة مؤقتة.

- لا!

شعر روكو بارتياح غريب يغمره. رغب أن يضيف: هذا لا يعني أنني مهتم بالأمر! لكن ذلك سيبدو كذباً واضحاً لأنه - كما اكتشف بسرعة - يهتم كثيراً لما تفعله هذه المرأة.

- أتقولين إنك خرجت برفقة الرجل لعدة شهور ولم تفكري في إقامة علاقة حميمة معه؟

- الأمر ليس مستغرباً.

- آه! بل إنه كذلك. أنت لست فقط تخرجين برفقته، بل تظنين أنك قادرة على الزواج منه.

لا بد أن هناك مغزى لما يقوله. فكرت آمي بارتباك، لكنها لم تستطع أن

تفهم تماماً ذلك المغزى، فدماغها لا يعمل بقدراته المعتادة.

- كما أنك عانقتني ببساطة وسرور.

للمرة الأولى في حياته، وجد روكو من الصعب عليه أن يجد الكلام المناسب ليقوله.

- أعلم ذلك. اسمع! هل تعتقد أن علينا التحدث عن هذا الأمر الآن؟

- لا شك أنك تدركين أن هذا الرجل غير مناسب لك.

شعر أنها تحاول الانسحاب بعيداً عنه من جديد. بعد عناقهما الشغوف هذا، من المؤكد أن عليها موافقته الرأي. بدأت الأفكار تترابط في ذهنه: ما زالت آمي مرتبطة بسام! استسلمت لعناقه وهي لا تزال متعلقة برجل آخر.

- أعتقد أن الوقت حان لترحل.

- ألأنك غير راضية عن هذا النقاش؟

حمل صوته نبرة قاسية بسبب إحساسه بإحباط شديد وهو يتابع: «ألم أبرهن لك أن من السخافة أن تفكري بالارتباط برجل في حين أنك مستعدة لعناق رجل آخر بشغف كما فعلت معي؟»

إذاً هذا كل ما في الأمر! فكرت آمي وهي تشعر بإحساس كبير من الاذلال والغضب. عانقها فقط ليبرهن أمراً ما. لكن لماذا فعل ذلك، فهذا ما لا تعرفه. ربما ببساطة، لأنه بعيد عن بلاده ويشعر بالملل، أو ربما أراد برهنة ما قاله لها في المرة الأولى عندما عانقها. لم ينجح الأمر حينها، كما رأى بنفسه، لذا قرر أن يدفع الأمور قدماً لأنه من نوع الرجال الذين لا يتخلون مطلقاً عما يفكرون به. لم تعد تهتم للأسباب. فقط هي تهتم لأمر واحد وهو أن روكو فاقد لأي إحساس بالارتباط العاطفي ولو بأدنى مستوى.

علق روكو بوضوح وصراحة: «لا يمكن أن تكوني منجذبة إليه ما دمت لم تفكري بإقامة علاقة حميمة معه. قد لا تكون العلاقات الحميمة هي سبب نجاح العلاقات، لكنها ذات أهمية كبرى».

- أحتاج إلى البقاء بمفردي.

للحظة عابرة، رغب روكو بشدة أن يقول لها لا، لكنه لم يستطع. فكل ما يحدث الآن يجري بطريقة خاطئة. حسناً! أراد أن يجعلها تدرك أن ما تشعر به نحو ذلك الرجل مجرد وهم، لكن هذا التفسير الآن يدفعها أكثر فأكثر بعيداً عنه، بينما كل ما يريده هو أن يجذبها نحوه أكثر وأكثر.

ابتعدت آمي عنه لتجلس على كرسي أمام النافذة، ثم حدقت به ببرودة وهي تتساءل كيف تركت نفسها تقع فريسة مرحه وذكائه، فاللطف الذي أظهره تجاهها لم يكن سوى مجرد جزء من خطته.

- من الواضح أن العلاقات العاطفية لا تعني لك شيئاً، وأن الأمان واللطف لا قيمة لهما عندك.

- لا قيمة لهما إن لم يرافقهما شغف وحب.

انفجرت آمي ضاحكة: «أنت تتحدث من خلال تجربة. أليس كذلك؟ أنت لم تتزوج من قبل وربما لم تكن لديك أي علاقة جدية تقود إلى الارتباط في حياتك من قبل. أخبرني، إلى أين قادك الشغف والحب؟»

نهض روكو وقد لمع وجهه بغضب صارخ: «إذاً، أنت ما زلت عازمة على القيام بالأمر. أليس كذلك؟ بادلتني العناق بشوق وشغف وشعرنا بالانسجام معاً، لكن هذا ما زال غير كافٍ لتفكري جيداً بما ستقدمين عليه. أليس كذلك؟ فالأمان هو ما يهمك قبل كل شيء!»

- ما الذي جعلك تعتقد أنني عازمة على القيام بأي شيء؟

حدق روكو بها بعنين ضيقتين: «سمعتك جيداً».

- سمعتني... ماذا...؟

- عندما فاجأتك في ذلك المطعم المثير للاشمئزاز، كنت على وشك قبول عرض الزواج منه.

- كنت على وشك أن أقول له إن لا جدوى من صداقتنا. ما كان عليك القفز إلى الاستنتاج الخاطئ.

أضافت بسخرية: «حتى أنت قد تخطئ في بعض الأحيان».

اقترب منها ببطء شديد، وقال: «إذاً، رأيت المنطق أخيراً».

- لذا لم يكن هناك داع لتندفع كي تبرهن وجهة نظرك.

قال روكو بصوت ينذر بالشر: «اشرحي ما قلته».

سار نحوها، فتمنت لو أنها تستطيع أن تختفي.

- سمعتني جيداً! أردتني أن أرى أن سام ليس بالرجل المناسب لي لذا عانقتني!

اقترب منها أكثر، وسألها: «أتقولين إنك لم تبادليني العناق بشوق؟»

- أنا...

لم ينكرما قالته. لم يقل لها إنها أخطأت في تفسير عناقه لها، وإنه عانقها لأنه شعر بالرغبة في القيام بذلك. هل اعتقد أنها لن تلاحظ الأمر؟

سألها بصوت ناعم كالحرير: «ماذا؟»

- حسناً! لا شك أن كلينا رغبنا بما حدث.

- والآن ها نحن نتفق.

ابتسم ببطء، وعلى الفور اعتصر الألم حلقها لأنها علمت تماماً أن أي خطوة محببة من قبله ستقودها إلى الاستسلام لعناقه من جديد. وفي غضون ثوان فقط، ستسلم حياتها لرجل معتاد على التخلي عن كل ارتباط عاطفي.

وقف روكو على بعد خطوات قليلة منها واضعاً يديه على الجدار حولها، وهكذا أصبحت داخل قفص ذراعيه: «يمكننا أن نمضي ساعات ونحن نتشاجر حول من فعل ذلك ولماذا، لكن لا داعي للالتفاف حول الموضوع، آمي. نحن على الأقل صادقان في مشاعرنا. لقد استمتعنا فعلاً بعناقنا».

- وماذا يعني ذلك؟

- لمَ لا نمتّن علاقتنا ما دمنا كذلك؟

- أهذه طريقتك في التعامل مع الناس، روكو؟ تتقرب من المرأة وتستمر علاقتك بها ما دمت تستمتع بالأمر؟

- أنا لا أفعل ذلك، سواء صدقت ذلك أم لا. كل ما في الأمر أن الأمور تجري دائماً بشكل متبادل.

- إذاً لم تفكر بالأمر...؟

- أفكر بماذا...؟

- إن كنت تملك دوافع خفية لمعانقتي، فأنا أيضاً لدي دوافعي...

استمر في النظر إليها، لكن فجأة أصبح جسده هادئاً واختفت الابتسامة عن وجهه. هذه هي اللحظة المناسبة لتوقف هذا الجنون الذي سيطر عليها، والذي يبدو أن عاطفتها سعيدة به. إنها اللحظة المناسبة لتستعيد السيطرة على حياتها. أبقت آمي نظرها مثبتاً على الزر الأعلى في قميصه وهي تقول: «لقد قطعت علاقتي للتو مع رجل طلب مني الزواج. إنهاء العلاقة قد لا يكون أمراً بالغ الأهمية بالنسبة إليك، لكنه كذلك بالنسبة لي، كما أن سام لم يتقبل الأمر بسهولة، لذا...».

خاطرت بإلقاء نظرة سريعة إلى وجهه، فرأت أنه يحدق بها وملامح وجهه غير مقروءة. بدا جامداً ولم تتحرك عضلة في وجهه. إنه يعطيها انتباهه بأكمله، ما ساهم في توتر أعصابها. شعرت بالقلق، فأخذت نفساً وتابعت بتركيز وحذر: «...لم تكن هذه الليلة مميزة لي، وعندما أتيت... لنقل إنني شعرت بحاجة إلى بعض المؤاساة كأي فتاة تتعرض إلى موقف مماثل».

- أتعنين أنك بادلتني العناق كردة فعل مباشرة لتعرضك لأزمة؟

لو لم يكن الوضع متوتراً جداً، لضحكت آمي بصوت عالٍ بسبب الذهول الذي بدا على وجهه. لكن بدا صمتها أفضل إجابة. إنه مخطئ تماماً، لكن هذا ما هي بحاجة إليه لتتخلص من هذا المأزق الخطر.

- لا بد أن هذا الأمر حدث معك في وقت ما، روكو.

- لا! على قدر ما أستطيع التذكر.

ابتعد عنها بسرعة، وعندما نظر إليها مجدداً رأت في عينيه كراهية واضحة. كادت تصرخ به أن لا مبرر لهذه الكراهية، لكنها فكرت أن الصمت أكثر فعالية من الكلام، لا سيما أنها لا تعلم إلى أين سيقودها الكلام بكل الأحوال.

- حسناً!

سار متجهاً نحو الباب الأمامي للمنزل. تنفست آمي بعمق وهي ترتجف، ثم تبعته ببطء.

- الآن بعد أن أوضحنا سوء التفاهم الصغيربيننا، أتوقع حضورك مع فريق عملك بعد ظهر الغد إلى مكتبي، وهذه المرة تأكدي من الالتزام بالموعد. إن لم تفعلي، فاعتبري نفسك مطرودة منذ الآن.

ها قد ظهرت بوضوح الشخصية الحقيقية لهذا الرجل المغرور! فكرت آمي بذلك ما إن رحل من دون أن يلتفت وراءه. أطيعي أوامري أو واجهي النتائج! هي لا تشك مطلقاً أنه قصد كل كلمة قالها.

الاحساس الصارخ بالغضب أبعد كل ما حصل بينهما عن أفكارها، ولم تفكر بالأمر إلا بعد أن أصبحت في السرير. بعد أن تلاشى غضبها لم تعد تتذكر سوى عناقهما وتلك السعادة التي لم تشعر بسعادة مماثلة لها في حياتها. لقد كرهته في البداية، وعندما تفكر بالأمر تجد نفسها غير قادرة على تفهم كيفية حدوث ذلك التبدل. متى بدأت تنظر من وراء هذا الشخص الحازم القاسي إلى الرجل فيه؟ كل ما تعرفه هو أنه لم يعد ذلك الشخص نفسه الذي واجهها في مكتبها. بدا لها أن مليون سنة مضت بين تلك الحادثة والليلة. أما ما يؤلمها الآن فهو أنه يفكر بالأسوأ بها... يفكر أنها استغلته لتتخطى ألم انفصالها عن صديقها السابق. لكنه على حق بالطبع، فالأمان لا أهمية له ما لم يتوافق مع العاطفة. شعرت أنها حمقاء لأنها سمحت لماضيها بأن يعلمها درساً خاطئاً، لكن هذا لا يعني أن روكو لوسي وأفكاره المبتذلة على حق. أغمضت عينيها بشدة، وتمنت لو أن ما بينهما مبني على عاطفة صادقة، ونامت...

عندما استيقظت بعد سبع ساعات راودها شعور بالانهاك والتعب، وكأنها لم تنم أبداً. كما أنها تأخرت منذ الآن...

أمضت فترة الصباح وهي تنظر إلى ساعتها محاولة أن تنظم وقتها وعملها، وعندما حان وقت الغداء أجبرت على الاتصال بمارسي عبر

هاتفها النقال، فطلبت منها أن تذهب إلى المكتب الرئيسي بدونها.

قالت مارسي بنبرة مؤكدة: «إنها ليست فكرة جيدة، آمي. أعتقد أن الرئيس لن يعجبه عدم حضورك للمرة الثانية. كما أننا، نحن أيضاً نود أن نعرف كيف جرت الأمور مع سام».

- لا تقلقي! سأذهب إلى الشركة، لكن عليّ البقاء هنا في مركز البلدية لمدة ساعة بعد. سأتناول سندويشاً وأنا في طريقي إلى هناك.

لكن آمي لم تأخذ في حسبانها ورش الأشغال على الطرق، والتي أجبرتها على الابتعاد عن الطريق الرئيسية والتوجه عبر طرقات فرعية احتاجت إلى عشرين دقيقة إضافية كي تقطعها. كما اصطدمت بازدحام شديد ما إن اقتربت من ستراتفورد بسبب انشغال الطريق ببناء سوق في الهواء الطلق في وسط البلدة، ما جعلها متأخرة حوالى الأربعين دقيقة. دخلت إلى غرفة الاجتماعات بعد أن طرقت طرقة خفيفة على الباب.

- آسفة، اعترضني ازدحام سير كثيف.

رأت أن أعضاء فريقها الخمسة يجلسون مجتمعين إلى طاولة قاعة الاجتماعات التي تتسع لعشرين شخصاً، بينما يقف روكو متكئاً على إطار النافذة، ما يظهر بوضوح أنه المسؤول هنا.

- من الذي سيخبر الآنسة هوغان بما فاتها من الاجتماع؟

ها قد عادا إلى التخاطب بالطريقة الرسمية. حسناً! يجدر بها ألا تتعجب لهذا الأمر. مع ذلك شعرت آمي بألم عميق وهي تجلس على المقعد الفارغ بجانب دي وتضع يديها المشبوكتين على الطاولة. ساد صمت مقلق في أرجاء الغرفة، وشعرت آمي بتوتر شديد. بعد قليل عاد روكو إلى الحديث بنبرة باردة مسيطرة وخالية من أية عاطفة. أخبرها بما قاله لأعضاء مجلس الإدارة صباح هذا اليوم، وما سيقوله لكل موظفي الشركة في اليوم التالي، في ما يتعلق بقرار والده الاستقالة من إدارة هذه الشركة، وذلك بناء لنصائح عدد من الأخصائيين ولنصيحة أقربائه في إيطاليا الذين شجعوه على البقاء هناك، حيث الطقس مناسب أكثر لصحته. خلا ل الرسائل

الإلكترونية التي يتبادلانها، لم يذكر أنطونيو لها شيئاً من ذلك، ومع أنها شعرت بالخدر من شدة الصدمة، لكنها تستطيع تفهم الأمر. يحتمل أنه خشي نوعاً ما أن يسبب لها خيبة أمل.

– هذا تركني أمام خيارات قليلة. الخيار الأول هو أن أبيع الشركة كما اقترح بعض المدراء. الخيار الثاني هو أن أجذب اثنين من أعضاء المجلس كشريكين في الملكية، وهذا أمر سيوافق عليه والدي بالطبع. أما الخيار الثالث فهو أن أهتم بإدارة الشركة بنفسي.

ابتعد عن النافذة وسار نحو رأس الطاولة. وضع يديه عليها ونظر مباشرة إلى آمي قائلاً: «ما الذي تقترحينه، آنسة هوغان؟»

– لا يخولني عملي أن أقترح أي شيء سيد لوسي، لا سيما أنني أتوقع أن تكون قد اتخذت القرار المناسب بكل الأحوال.

وقف مستقيماً، ثم سحب الكرسي وجلس عليه. ظل حضوره القوي مسيطراً على المجموعة كلها على الرغم من أنه يجلس الآن على المستوى نفسه مثلهم.

– افتراض صحيح! لقد اتخذت قراري، وصممت على استلام زمام الأمور في شركة لوسي للبناء. كما أنني أرغب في شراء أسهم والدي، وهكذا أزيده ثراء ليفعل كل ما يرغب به حتى آخر يوم في حياته.

– ماذا عن شركتك في نيويورك؟

– سأبيعها إلى من يقدم الثمن الأعلى. كما أنني أرغب في تطوير شركة لوسي للبناء وجعلها شركة تناسب القرن الحادي والعشرين. هذا تقريباً يغطي ما تحدثنا به قبل وصولك، آنسة هوغان. ألا توافقونني الرأي جميعاً؟

سادت همهمة من قبل الجميع وقليل من التململ. أبعد روكو كرسيه إلى الوراء قليلاً ليتمكن من وضع ساق فوق أخرى رافعاً كاحله على ركبته. عمدت آمي إلى كسر الصمت، متولية التحدث بقلب غائر. حان وقت المواجهة، فلِمَ لا تبدأ الآن؟

– ما الذي سيحدث بعد ذلك بالنسبة لنا؟

نظرت باضطراب إلى الوجوه القلقة حولها على الطاولة. وجوه بعيدة كل البعد عن الجو المرح والإلفة اللذين كانوا يتمتعون بهما جميعاً قبل أن يدخل روكو إلى حياتهم بتهديداته وتحذيراته المنذرة بالشؤم.

فكرت وهي تشعر بالذنب أنها نسيت كل ما يتعلق بالعمل حين كانت بين ذراعيه. هل ذلك مخطط متعمد منه؟ لا تعتقد آمي أن ذلك ما حدث، لكنها تدرك كم يبدو روكو غامضاً، وكم هي جاهلة عندما يتعلق الأمر بفهم عالم الرجل.

– بالنسبة لكم...

نظر روكو إلى كل شخص منهم على حدة، ثم تابع حديثه مشيراً إلى مواهبهم المميزة، كل بمفرده. لا بد أنه قرأ ملفاتهم الشخصية لأنه لم ينسَ أية معلومة. أنهى كلامه قائلاً: «... لذلك، هذا ما سأقترحه عليكم، وبإمكانكم أن تأخذوا الوقت الكافي لتفكروا بالأمر».

لم تظن آمي أنه يستطيع إيجاد أي شيء يسعد فريقها. فقد عملوا لسنوات عدة عملاً أحبوه، لكنه برهن لها أنها مخطئة. قدم روكو عرضاً مناسباً لمن يرغب في العمل في فرع لندن، حيث سيكون أفراد الفريق مسؤولين عن إنشاء فرع للشركة، وبذلك سيتمتعون بكل المنافع المادية التي تنتج عن نجاحه. كما سيحظون بشقق خاصة بهم. أما مارسي، وهي المديرة الإدارية، فستصبح مسؤولة عن تقديم نسبة من الأرباح إلى دور الاحسان. بالإضافة إلى ذلك سيسمح لهم بالانضمام إلى مشاريع خيرية، حيث بإمكانهم أن يتنذبوا فريقاً خاصاً لهذا العمل.

أدركت آمي أن لدى روكو مواهب دفينة يستطيع استعمالها عندما يريد ذلك، لكنه فوق ذلك كله، منحهم زيادة في الأجور جعلت الجميع يتهامسون بحماس. كل من يرغب في البقاء بإمكانه أن يتوقع زيادة في الأجر، ومع أنهم سينقلون مكان عملهم إلى المكتب الرئيسي في ستراتفورد، لكنهم سيحصلون على تعويض مناسب من أجل تغطية بدل سكنهم ليناسب مكان عملهم الجديد. إنها خطة ذكية، لا سيما أن معظم أعضاء الفريق غير

متزوجين وهم على أتم الاستعداد للانتقال إلى لندن. صحيح أنهم سيستمرون في القيام ببعض أعمال الاحسان، لكن لا شيء يوازي عملهم الحالي. النسبة التي ستقدم كمساعدة ستأتي بناء على اقتراح مارسي وموافقة كل أعضاء مجلس الإدارة.

أنهى روكو كلامه، ثم تراجع إلى الوراء على كرسيه وعقد أصابعه بهدوء فوق حضنه. قال ينصحهم: «بإمكانكم المغادرة الآن لتبحثوا الأمر، وسنجتمع ثانية، لنقل... بعد أسبوع. سأطلب من سكرتيرتي أن تعين لنا موعداً معاً».

سادت حركة هادئة ومطيعة وهم يتجهون نحو الباب. كانت آمي آخر من غادر، وما إن وصلت إلى الباب حتى ناداها لتعود إلى الداخل.

- ... واغلقي الباب وراءك.

هذا ما فعلته آمي، لكن بدلاً من أن تسير نحو الطاولة بقيت مكانها. وقفت وهي تدير ظهرها إلى الباب واضعة يديها وراءه.

- حسناً! أنت انتصرت.

- قدمت لكم عرضاً عادلاً.

- هذا ليس ما أراده والدك عندما أنشأ...

- كل شخص في فريق عملك سيوافق على اقتراحي. بالإضافة إلى ذلك، جميعهم سيقدرون العرض الكريم الذي قدمته.

شعرت آمي بقلبها يدق بعنف في صدرها. قالت: «إذاً، انتصرت!»

قال روكو بفقدان صبر: «ما قمت به منطقي. سيرى أفراد فريقك ذلك لأن العاطفة لا تعميهم».

- أنا لست عمياء.

- ما تقومين به هو أكثر من عمل بالنسبة لك. إنه ملاذك وخشبة إنقاذك. انضجي آمي وواجهي العالم الواقعي. اخرجي من مخبئك وادركي أن ليس هناك منطقة آمنة.

٨ - زيارة مفاجئة

نظر روكو ملياً إلى الورقة الموضوعة على مكتبه. إنها أقل من رسالة، لكنها أكثر من ملاحظة كتبت على عجل. مجرد أسطر قليلة تفيد بأن آمي هوغان التي عملت كموظفة في شركة لوسي للبناء لعدة سنوات، قررت أن تقدم استقالتها لتتمكن من اختيار عمل آخر. كما أنها تقدم شكرها العميق إلى كل من ساعدها خلال عملها وجعل بقاءها في الشركة أمراً ممتعاً بالنسبة إليها.

مدّ يده إلى الهاتف. فكر قليلاً ثم تراجع إلى الوراء على كرسيه مقطباً جبينه. مرت عشرة أيام على لقائه بها وبفريق عملها. وبعد نصيحتها لهم، وافقوا جميعاً على العرض الذي يعتقد روكو أنه تطور واضح في مجال عملهم. أما هي فرأت العكس تماماً.

جرت مناقشات عدة بينهما بناء على طلبه، جلست خلالها آمي جامدة الوجه كالحجر تكرر بتهذيب أنها غير متأكدة مما ستفعله في المدى البعيد. بتهذيب مماثل راجعت معه المستندات المتعلقة بالشركة، وحضرت قوائم بالاتصالات والعلاقات التي أرستها عبر السنين، تضمنت عشرات الأرقام الهاتفية التي تبين أنها تحفظها في رأسها بدون أي خطأ. كلما حاول روكو أن يبعد النقاش عن العمل، كانت ترمقه بنظرات غامضة تجعله يعود بسرعة إلى المسألة الموجودة بين أيديهما.

في الواقع، أمضى روكو أسبوعاً سيئاً مليئاً بالاحباط، لأنها سكنت في رأسه كحشرة صغيرة مزعجة تشغله عن الأعمال المهمة الضاغطة عليه، والتي يجدر به أن يبت بأمرها. والآن ها هي استقالتها أمامه!

نظر إلى الرسالة من جديد، راغباً برميها في سلة المهملات، لكنه يعلم أن القيام بعمل متهور لن يحل المشكلة. كما أنه لن يتمكن من رؤيتها عند الصباح، لأنه سيسافر إلى نيويورك ليهتم بأمر بيع شركته هناك. ابتعد عن المكتب وراح يتجول في الغرفة بتوتر واضح. توقف ليحدق بتجهم إلى التحف الموضوعة على رف الكتب والتي تحمل لمسات والده. أمسك بحصان من الخشب جلس الخيال على صهوته وهو يقرأ في كتاب مفتوح. أداره بعناية بين يديه، وراوده ذلك الشعور الذي تملكه عبر الأسابيع القليلة الماضية، منذ اللحظة التي رأى فيها صوره في دفتر والده. إحساس بأن هناك أموراً كثيرة تختبئ تحت الأمور الظاهرة التي تخلى عن التفكير بها منذ أن غادر إنكلترا، وأنه يجب أن يتم بحث هذه الأمور ومعالجتها.

أعاد الحصان إلى مكانه لكنه ظل واقفاً هناك يفكر. سمع رنين الهاتف على مكتبه فحدق به بغضب واضح. لا يمكن لهذا الوضع أن يستمر. لا يمكنه أن يملأ رأسه بخيال موظفة لم تبدُ ممتنة بما فيه الكفاية لتقبل العرض السخي الذي قدمه لها. لم يسبق لأي امرأة أن وجهت ضربة قاسية إلى كبريائه كما فعلت آمي عندما قالت له إنها بادلته العناق فقط لتنسى ما حدث معها. هذا كله يكاد يجعل رأسه ينفجر من الغضب. روكو المعتاد على السيطرة على كل ما حوله من أحداث وأشخاص أصيب فعلياً بصدمة كبرى لمجرد التفكير أنه وقع هو نفسه تحت سيطرتها، وما زال غير مصدق لذلك. ولم يتخلَ عن التفكير بأنها استغلته حتى عندما جلس بجانبها ليتحدثا عن الأعمال. دفعه ذلك للقيام بالشيء الوحيد الذي قرر عدم القيام به أثناء النهار. لمعت الفكرة في رأسه أولاً، وسرعان ما تملكته تماماً.

عند الساعة السادسة والنصف، بعد أن أنهى كل الترتيبات المتعلقة بسفره إلى الولايات المتحدة في اليوم التالي قاد سيارته إلى منزلها...

صوت المنطق في داخله طلب منه أن يدعها وشأنها، لأنها سلمت استقالتها بنفسها. بإمكانه أن يعفيها من العمل بسهولة لمدة شهر كامل كإشعار بقبول هذه الاستقالة. فالمشروع الذي تعمل عليه يستطيع أشخاص

آخرون إكماله. لكن مشاعره راحت تغلي لدرجة جعلته يتجاهل المنطق البارد.

لمَ لا يعتمد الحلول الفلسفية، التي تنص بخط عريض أن على المرء أن يربحَ قليلاً ويخسر قليلاً؟ لكن موجة من الغضب الصارخ والرغبة في معاقبتها راحت تغلي في أعماقه.

وصل إلى منزلها عند الساعة السابعة والنصف متوقعاً أن يجد المكان فارغاً، فهو يعلم أن أي موظف قدم استقالته لن يكون سعيداً في البقاء في مقر عمله بعد الدوام، إلا أنه سيجد متعة في الخروج إلى أحد الأماكن طلباً للتسلية.

حسناً! إنها في المنزل، فسيارتها متوقفة أمامه. بعد أن قرع الجرس لمعت في ذهنه فكرة: لا بد أنها رأته يوقف سيارته وقررت أن تتجاهل وجوده بالمطلق!

بتسرع لم يتعود روكو عليه ولم يرغب به راح يتصرف بغرابة شديدة؛ طرق على الباب بقبضته غير آبه بأنه يجذب انتباه المارين على الطريق أو حتى الجيران.

ما إن رفع يده ليضرب الباب مرة ثانية حتى فتح بقوة، ووجدها هناك واقفة تحدق إليه بغضب واضح.

- ما الذي تفعله هنا؟

- تبدين في وضع سيء جداً.

- شكراً على هذا الإطراء، لكنك لم تجب عن سؤالي بعد. لماذا أنت هنا تطرق بابي؟

الأمر الأكثر غرابة هو أنها ما إن رأته حتى أخذ قلبها يدق بسرعة جنونية. نفخت أنفها بقوة في منديلها، ووضعته في جيب ردائها الطويل.

- لدينا بعض الأمور لنتحدث عنها.

ولوح برسالة استقالتها. مستغلاً لحظة الذهول التي سيطرت عليها، اندفع روكو عبر الباب الأمامي ليدخل قاعة الاستقبال.

- ليس الآن، روكو. أنا... أنا لا أشعر أنني بخير...

- في هذه الحالة، يجدر بك فقط أن تجلسي وترتاحي، وأنا سوف أتولى النقاش.

ترتاح؟ هي وروكو تحت سقف واحد؟ لا بد أنه يمزح!

- بمَ تشعرين؟

رفعها بين ذراعيه، متجاهلاً اعتراضاتها التي أظهرت صدمتها، ودخل إلى غرفة الجلوس محاولاً أن يجعلها تستلقي على الأريكة. قال مستغرباً: «لا بد أنك تشكين من سوء ما، لأنك تعانين من حرارة شديدة».

تجهم وجهه وهو يضع ظهر يده الباردة على جبهتها.

- أعاني من زكام، روكو. هذا كل شيء. لكنني آسفة. أنا حقاً لست بحالة جيدة للتحدث عن موضوع الاستقالة.

- لا! بالطبع، لا!

قطب جبينه من جديد قبل أن يتابع: «ما من داع لتبقي في غرفة الجلوس. ستكونين أفضل حالاً في غرفتك، وفي سريرك».

- أنا بخير هنا...

- لا! أنت لست كذلك.

رفعها من جديد بسهولة متناهية كأنه يرفع ريشة. قالت آمي ما إن أصبحت في سريرها وهي لا تزال تلف جسمها بردائها السميك: «حسناً! أنت الفائز. قدمت استقالتي لأنني لا أريد الاستمرار في شركة لوسي للبناء فيما أنت مديرها المسؤول. أعلم أنني لم أستطع إقناعك بالابقاء على مكتبنا كي نستمر بما كنا نقوم به، إلا أن كل شخص في فريق عملي يعتقد أنك شخص كريم جداً وأنا سعيدة جداً لأجلهم، لكن ما تعرضه لا يناسبني».

- هل ذهبت إلى الطبيب؟

- ماذا؟

رمشت آمي بجفونها، مرتبكة من هذا التغير المفاجئ للنقاش.

- طبيب!

- بالطبع لم أذهب إلى الطبيب! أنا أعاني من زكام عادي، والطبيب لا يستطيع القيام بشيء في هذه الحالة. صحيح أنني لم أتلق تعليماً جامعياً، لكنني أعرف أن الفيروس يعمل على الخروج من الجسم بنفسه.

عطست وكأن جسمها يساعدها في إثبات ما تقوله، ثم تراجعت على الوسائد وهي تتأوه بالرغم من إرادتها بسبب شدة الاعياء. تابعت قائلة: «قلت لك كل ما أريد قوله في طلب الاستقالة روكو، لذلك يمكنك المغادرة. إن كنت تخشى أن أرحل الآن ما إن قدمت استقالتي، فلا داعي لذلك. ما إن تتحسن حالتي حتى أعود إلى العمل. سأبقى في العمل طيلة الشهر القادم».

بالكاد أصغى روكو إليها وهو يحدق باهتمام بوجهها المتورد وعينيها المتعبتين. قال مقاطعاً: «هلا توقفت عن الكلام للحظة؟ عليَّ اجراء اتصال هاتفي».

هزت آمي رأسها باستغراب وهي تشعر بالاحباط ما إن أخرج هاتفه النقال وطلب رقماً. ما لبث أن خرج من الغرفة ثم أقفل الباب بهدوء وراءه. لم تتفاجأ لأنه سعى وراءها ليسألها عن استقالتها. أظهر روكو رحابة صدر ملفتة للنظر حين وزع مكافآت سخية لكل فرد من أفراد فريقها بهدف تخفيف صدمة صرفهم من عملهم. ولا بد أنه توقع أن تظهر آمي الامتنان والابتهاج كما فعل كل شخص آخر. شعرت بتوتره يزداد خلال الأيام القليلة الماضية عندما كانا يجتمعان معاً، ولم تُبدِ من جهتها أي استعداد لقبول عرضه. شعرت أنها ضعيفة جداً لتجادله بشأن حقها الكامل باتخاذ القرار، لن توافق على اعتقاده بأنه دائماً على حق، ولن تدعه يقنعها بأن تتخلى عن استقالتها أوبالاعتقاد أنها بطريقة ما أساءت فهم العرض المغري الذي قدمه لها. بالطبع، يظن الجميع أن روكو لوسي هو رجل عظيم، أما هي فكل ما تريده هو أن يرحل من هنا على الفور.

تمنت أن يكون الاتصال متعلقاً بعمل مستعجل يدعوه للخروج بسرعة من منزلها. راقبت الباب بتوتر، وراقبت روكو بضيق وتوتر أكبر ما إن عاد

إلى غرفة النوم، لا سيما بعد أن جلس قربها على السرير بدلاً من الوقوف قرب الباب ليحمي نفسه من العدوى.

- تحدثت للتو مع طبيبي. نظراً للأعراض التي تعانين منها، لا بد أنك على حق بشأن فيروس الزكام.

- هل تحدثت مع الطبيب بشأني؟

أجاب روكو بفظاظة: «إنه صديقي أيضاً. لطلبت منه القدوم إلى هنا، لولا أن الرحلة من نيويورك لزيارة منزلية أمر مبالغ فيه».

- ما من داعٍ...

- ما زلت موظفة لدي. لا تنسي ذلك.

- آه، صحيح! لكن في الوقت الراهن فقط...

أغمضت آمي عينيها، فهي تشعر بالراحة أكثر إن أبعدته عن مدى رؤيتها المباشرة. كما أنها تحاول أن تنسى مدى قربه منها. تابعت: «... لأنني لن أبدل رأيي بشأن تركي العمل، فلدي الكثير من الخطط إن أردت الحقيقة».

- بإمكانك إخباري عن خططك هذه ما إن تأكلي شيئاً ما.

رمشت آمي بعينيها، لكنها لم تفتحهما لتنظر إليه وهي تقول: «لم تأتِ إلى هنا لتكون لطيفاً معي».

تثاءبت ثم نظرت إليه بعينين ناعستين وهي تتابع: «كما أنه لا داعي لأن تفعل حتى لو كنت رئيسي مؤقتاً. في الحقيقة، سأشعر أنني بحال أفضل إن غادرت، فهكذا سأتمكن من النوم لأتخلص من مرضي من دون إجراء أية مناقشات مع أي كان».

- سأنزل إلى الطابق السفلي لأحضر شيئاً نأكله.

أجابها روكو بذلك وهو يفكر برمي استقالتها في وجهها. تمنى لو أنه يستطيع معانقتها كما فعل تلك الليلة، ليتمكن من إقناع نفسه أن ردة فعلها الرائعة لم تكن من نسج خياله. عاش حياته على الدوام مفترضاً أن نجاحه مع النساء هو موهبة لديه، لذا فإن التفكير بأنها استعملته لتتخلص من

الاحساس بالخيبة بسبب انفصالها عن حبيبها السابق، سبب صدمة كبيرة لكبريائه. أما الآن فإن خطته أصبحت في طي النسيان لمجرد رؤية حالتها المزرية.

تأوهت آمي قائلة: «من فضلك، لا داعي لأن تشعر أنك مجبر على القيام بدور الرئيس المهتم، لأنك أتيت إلى هنا لتواجهني بأمر الاستقالة، وبدلاً من القيام بذلك وجدتني أعاني من المرض. تناولت قرصين من الباراستامول، ولا بد أنني سأصبح أفضل حالاً بعد قليل. في الحقيقة، أشعر أنني أفضل حالاً الآن».

استلقت في السرير، وهي تشعر أن وجهها يتوهج من شدة الحرارة، كما أن ثوبها الفضفاض يجعلها تبدو في حالة سيئة، وإضافة روكو إلى هذه المعادلة يشكل كابوساً فعلياً لها. هي لا تريده أن يجول بنظره على وجهها المنهك، لكنه مصمم على عدم المغادرة. أرادت آمي أن تبكي من الاحساس المفرط بالاحباط.

- متى أخذت حبتي الدواء؟

- لا أتذكر بالتحديد... ربما منذ نصف ساعة.

- مضى أكثر من نصف ساعة منذ وصولي إلى هنا.

- حسناً! ربما منذ ساعة! لم أنظر إلى ساعتي في تلك اللحظة.

حاولت أن تجلس لتوضح فكرتها، لكنها شعرت بالتعب فتراجعت على الوسائد وتنهدت باعياء.

راقبته بعينين نصف مغمضتين وهو يخرج من الغرفة ليعود بعد عدة دقائق حاملاً منشفة باردة رطبة وضعها على جبهتها.

- ستساعد هذه على تخفيض الحرارة قليلاً.

قالت آمي بسخرية: «قمت بذلك من قبل. أليس كذلك؟»

حاولت أن تسيطر على إحساسها بالتأثر الشديد بمبادرته، فيما أجاب روكو عن سؤالها بزفرة لا معنى لها.

لا، بالطبع! لم يفعل ذلك من قبل مطلقاً. نزل روكو إلى المطبخ ليرى ما

الذي يستطيع فعله، فيما ظلت أفكاره مع الفتاة المستلقية على السرير في الطابق العلوي. الاهتمام بالنساء المريضات لم يكن يوماً على لائحة أعماله. فهو لا يبذل أي مجهود عندما يتعلق الأمر بمعتلّي الصحة، ولم يخفِ يوماً تذمره وانزعاجه. كما يذكر المرات الثلاث التي أجبر فيها على البقاء في السرير وقام بإلغاء مواعيده بنفسه، رافضاً بقوة العروض المتلهفة للاعتناء به، منتظراً أن يشفى من مرضه بفقدان صبر. قال لنفسه بحزم إنه لو علم بمرضها لما توجه إلى هنا، لكن بما أنه أتى فلا خيار لديه سوى إعداد شيء من الطعام لها. حضر عجة البيض لكليهما، وحملها إلى غرفة النوم على صينية مع كوبين من الشاي وبعض قطع التوست.

- قبل أن تقولي إنه ما كان عليّ القيام بذلك أخبرك أن عجة البيض هي واحدة من الأطباق التي أجيد تحضيرها.

بدت آمي ضعيفة جداً لتشعر بأي شيء، لكنها فرحت كثيراً لأن هناك من يهتم بها.

- شكراً لك. أنا حقاً ممتنة لك، ولو أنني لست بحاجة إلى الأكل.

جلست ليتمكن من وضع الصينية في حضنها قبل أن يبتعد ويجلس على كرسي قرب النافذة مع طبقه.

قال روكو بتوتر: «يحتاج كل شخص إلى القليل من المساعدة في بعض الأحيان».

وجدت أن العجة شهية، وفيها خليط من الأعشاب والبهارات.

- أنا لا أمرض أبداً.

- أبداً؟

- أصبت بالحماق عندما كنت في الثامنة من عمري، وبقيت في المنزل لمدة أسبوعين استمتعت بكل لحظة فيهما. ومنذ ذلك الوقت، لا يصيبني إلا بعض السعال أو الزكام أحياناً فأترك الطبيعة تأخذ مجراها. بالمناسبة، هذه العجة شهية.

رفعت نظرها بسرعة إليه وما لبثت أن أبعدته. جلوسه قرب النافذة،

واضعاً ذراعيه على فخذيه وموازناً طبقه على راحة يده أثر عليها بشدة. هي لا تريده في منزلها، ليسيطر عليها بجاذبيته المفرطة. لكن بما أنه هنا الآن، قررت أن الوسيلة الوحيدة للتعامل معه هي التصرف بتهذيب عادي كما تفعل مع أي شخص تعرفه. ما من داعٍ للتفكير بما حدث في تلك الليلة، لأن ذلك سيضاعف من توترها، ويزيد من إحساسها بجاذبيته. عمدت إلى التحدث في مواضيع مختلفة عن ماضيها. حرصت على عدم الاقتراب من أي موضوع يتعلق بصديق ما، متجنبة بذلك إمكانية أن يسألها روكو أي سؤال عن سام. فتنفتح أبواب الجحيم أمامها، تلك الأبواب التي تفضل بشدة أن تبقيها مقفلة بإحكام. مع أنها بصراحة تستطيع التحدث عنه حتى الصباح، لأن غيابه من حياتها جعلها تشعر بالحرية، وهذا ما أدهشها. إذ تبين لها في النهاية أن تأثيره عليها عابر وضئيل. عندما انتهت من تناول طعامها، وضعت الصينية جانباً، ثم نظرت إلى روكو وقد أمالت رأسها بتهذيب.

- أشعر أنني أفضل حالاً الآن. قلت لك قبل قليل إن لدي خططاً بعد مغادرتي لشركة لوسي.

ها هي تفعل ذلك من جديد! فكر روكو بذلك وهو يشعر بطعنة من الاحباط الشديد. إنها تبني حاجزاً من التهذيب بينهما. حاجز قوي كالفولاذ وعالٍ كالجبل. كلما بَنَت آمي ذلك الحاجز كلما رغب أكثر باختراقه.

- صحيح!

سار نحوها ليأخذ الصينية. فكر قليلاً، ثم وضعها على الأرض وجلس قربها على السرير. كانت آمي قد نزعت المنشفة الباردة عن جبهتها، فمد يده ولمس بنعومة بشرتها ثم قال: «جيد! انخفضت الحرارة. ماذا كنت تقولين؟»

حاولت آمي إبقاء صوتها هادئاً وطبيعياً: «قلت إنني آسفة لأنني لا أستطيع قبول عرضك مع أنه سخي بشكل لا يصدق، كما أتفهم لماذا أعجب به فريق عملي. إنه عادل للجميع، لكنني أعتقد أن الوقت حان

للقيام بتبديل كامل في اتجاه حياتي».

انحسر ثوبها قليلاً عن عنقها، ولم يستطع روكو إلا أن يلاحظ شحوب بشرتها. تحرك قليلاً وقال: «أجل. أعتقد أنني أعطيتكم اتفاقاً عادلاً وكريماً».

- هذا حقاً ما فكرت به، وفهمته جيداً.

مالت إلى الأمام، وتوهج وجهها بحماسة تشبه تلك التي لاحظها روكو عندما حدثته عن عملها.

- أفكر في العودة إلى الجامعة.

- ماذا؟

ضحكت آمي بثقة. إنه الشخص الأول الذي تشاركه بهذه الفكرة. فجأة شعرت أنها تهتم لمعرفة رأيه في الموضوع بقوة.

- العودة إلى الجامعة... هل هي فكرة مجنونة؟

- لا، ليست فكرة مجنونة، لكن هل يمكنك التقيد بالنظام التعليمي؟

ابتسم روكو ببطء متأثراً بحيويتها، ناسياً السبب الذي دفعه للقدوم ومواجهتها.

- عليّ البدء بأخذ دروس مكثفة لأستعيد معلوماتي في المرحلة الثانوية، بعدئذ سأدخل الجامعة من أجل الحصول على شهادة تعليمية.

- وما الذي ستفعلينه بشأن المال طوال فترة الدراسة؟

كلامه جعل الكآبة والانقباض يغلفان روحها، فاختفت ابتسامتها.

- في الواقع لم أفكر بالأمر ملياً.

استندت إلى ظهر السرير العريض وهي تشبك ذراعيها وتتابع: «بدأت للتو بالتفكير في الأمر».

ابتعد روكو عن سريرها ثم انحنى ليأخذ الصينية التي وضعها قبل قليل، ثم تابع سيره ليضع طبقه وكوبه على الصينية أيضاً.

- سآخذ هذه إلى المطبخ. أتريدين أي شيء آخر؟

فكرت آمي أن ما تريده فعلاً هو أن يصغي إلى ما بدأت التحدث عنه.

لكن لماذا سيفعل ذلك؟ أتى إلى هنا ليبحث أمر استقالتها، وليتأكد أنها فهمت تماماً ما الذي سيحدث إن لم تقبل العمل الذي يعرضه عليها، والآن هو لا يستطيع الانتظار حتى يغادر. سمعت آمي نفسها تقول: «إذاً، ما رأيك؟»

- سأعود بعد قليل.

علقت بتوتر: «عادة لا يدوم مرضي طويلاً. إنني بخير الآن، ويمكنني القول إنه أصبح على طريق الشفاء، فالطعام والدواء قادران على القضاء عليه. يمكنك ترك الصينية على طاولة المطبخ وإغلاق الباب وراءك فهو مزود بقفل أوتوماتيكي».

هز روكو رأسه وغادر الغرفة، مغلقاً الباب بهدوء وراءه. حدقت آمي بنظرة غاضبة نحو الباب المغلق ونهضت عن السرير على الفور، نازعة رداءها الطويل وهي تتجه نحو غرفة الحمام لتغسل وجهها وأسنانها. لماذا يفعل بها ذلك دوماً؟ يجعلها تتأرجح في التفكير بأنه فعلاً إنسان لطيف ويهتم بما تقوله... تلك الأوهام الحمقاء قادتها إلى ما بين ذراعيه، والآن ها هي تشعر بالغضب من نفسها لأنها تشعر بخيبة الأمل بسبب مغادرته بهدوء بناء لطلبها. يبدو بوضوح أنه غير مهتم على الإطلاق بما ستفعله في المستقبل. غسلت وجهها وأسنانها وعادت ثانية إلى غرفتها لتمضي الأمسية في سريرها وهي تقرأ أو تشاهد التلفزيون، ثم... سمعت أصواتاً خافتة صادرة عن الأغراض العديدة التي تضعها على سطح خزانة الأدراج ما إن فتح باب غرفة النوم.

لاحظ روكو أنها تقف كالمصعوقة في مكانها، كما اكتشف ما ترتديه تحت ذلك الرداء الفضفاض. إنها بيجامة قصيرة عليها صور لشخصيات كوميدية تجعلها تبدو كطفلة صغيرة. لكنها بطريقة ما لا تبدو طفلة مطلقاً. نسي كل ما يتعلق باستقالتها وبكبريائه المجروحة. للحظات عدة، لم يقل أي منهما شيئاً، ثم كسرا الصمت الممتد بينهما معاً، إذ قال روكو إنه غسل الأطباق بينما سألته آمي لماذا لم يغادر.

- قلت لك إنني سأعود لأستمع إلى ما ستقولينه عن خططك المستقبلية.

تحركت آمي بتوتر محدقة به، وهي تشعر بالاحراج بسبب ملابسها. شعرت أن ساقيها مسمرتان في مكانهما، وأنها غير قادرة على الوصول إلى السرير. قالت بتوتر: «طلبت رأيك فقط من قبيل التهذيب. اعتقدت أنك قد ترغب في معرفة ذلك لأنني رفضت عرض العمل الذي قدمته لي».

تمشى روكو داخل غرفتها ليجلس على الكرسي الذي جلس عليه وهو يتناول طعامه منذ عشرين دقيقة مضت، تاركاً الحرية لآمي أن تتوجه إلى السرير أو إلى الكرسي الآخر في الغرفة، إنه المقعد الذي تفضله عندما ترغب في القراءة، لأنها تتكوم في داخله. اختارت آمي الجلوس على الكرسي، لأنها شعرت أن الذهاب إلى السرير بوجوده أمر حميم جداً لا ترغب به.

قال بصوته العميق الساحر: «إذاً، أنت تريدين العودة إلى الدراسة».

فكر في عودتها إلى الجامعة، وتخيلها محاطة بشباب مهووسين ينتظرون فرصة لقاء فتيات مثلها.

جلست آمي على كرسيها واضعة قدمها تحتها، وقالت: «في أعماقي هناك توق دائم يدفعني إلى متابعة تعليمي الجامعي، والآن أجد نفسي مجبرة على القيام بذلك».

- آه! أحقاً؟

تراجع روكو إلى الوراء على كرسيه واضعاً إحدى ساقيه فوق الأخرى، تاركاً لأفكاره العنان ليتخيل هذه الفتاة الساذجة الجذابة ولأول مرة في حياتها، في محيط مليء بالرجال الذين يرغبون في اقتناص الفتيات. بدت تلك فكرة مزعجة جداً. تابع قائلاً:

- ولماذا عليك القيام بذلك؟ هل تقدرين مدى صعوبة انتقالك من حقل العمل والحصول على المال إلى حقل الدراسة الجامعية؟

- بالطبع، أعرف ذلك! فأنا لا أفتقد بشكل كامل للمنطق.

سيطر روكو على رغبته باعتراضها بتفاخر وكبرياء شديدين.

- ولا داعي لذكر العمل القاسي الذي تتطلبه العودة إلى مقاعد الدراسة

لاسيما في حالتك، فأنت تخليت عن المدرسة وأنت في السادسة عشرة من عمرك.

شعرت آمي بتورد خديها بسبب الاحراج. أما الاحساس بالارهاق الذي رافقها طوال النهار فقد اختفى، لتحل محله طاقة من الغضب الصارخ.

- لم أتخلّ عن دراستي! أجبرت على تركها بسبب الظروف التي كانت فوق إرادتي، وكل ما أريده الآن هو أن أعوض عن كل شيء فقدته في السابق.

تحليلها للأمور وأسلوبها المميز في الدفاع عن موقفها جعل وجه روكو يتجهم من الغضب. طارت به ذاكرته إلى أيام دراسته في الجامعة، فقد ولِدَ ليحقق الكثير، لذلك لم يعانِ مطلقاً من الاحساس بأنه يعمل كثيراً. بدلاً من ذلك، استمتع بكل ما يمكن أن تقدمه الحياة الجامعية من ملذات، بما فيها التعرف على الفتيات. سؤالها التالي انتشله من أحلام اليقظة.

- ألم تفكر يوماً في التعويض عن الأوقات الماضية؟

تورد خداه من سؤالها المفاجئ الذي ذكره بماضيه مع والده. تابعت آمي بحماس: «حسناً! ألم يساورك هذا الشعور يوماً؟».

- يمكنني القول إنك بحال أفضل الآن، فها أنت تهاجمينني.

- أنا أطرح عليك سؤالاً عادياً، ولا أقوم بمهاجمتك.

فجأة أصبحت نبرة صوتها هجومية وهي تتابع: «يقول أنطونيو إن العائلة ترغب في رؤيتك في إيطاليا. ربما يمكنك أن تأخذ عدة أيام كإجازة لتزوره هناك، فهو يريد أن يبني جسوراً بينكما. إنه عجوز ومشرف على الموت، وأنا لست الوحيدة التي تشعر بحاجة إلى تعويض الأيام الضائعة».

- نحن لا نتحدث عني الآن.

قالت آمي بمنتهى الوضوح: «لم نكن نتحدث عنك، أما الآن فها نحن نفعل. اذهب لرؤيته، روكو!»

قال روكو بضيق: «ستكونين زوجة صالحة جداً لأي رجل...».

شعر بانزعاج لأنها بطريقة ما تمكنت من محاصرته. تابع بمرح: «... فمن الواضح أنك تجيدين النكد».

ابتسمت آمي، لأول مرة في تلك الأمسية مع أنها تعلم أن ابتسامتها نذير شؤم عليها، أما هذا الاحساس الذي يملؤها بالفرح والتوهج في أعماقها فهو أكثر شؤماً أيضاً.

- إذاً... هل ستذهب؟

- سأفكر في الأمر.

- هذا ليس بجواب.

وقف روكو وبدأ يذرع الغرفة ذهاباً وإياباً مرسلاً نظرات جانبية إليها. أخيراً تمتم، مقطباً جبينه: «حسناً! سأذهب. هل أنت سعيدة الآن؟».

عندما هزت رأسها موافقة توقف أمامها، ثم مال ليضع يديه على ذراعي مقعدها. تابع: «والآن، هل يمكننا العودة إلى حديثنا الأساسي؟».

- أنا أعرف مسبقاً كل المآزق التي قد أتعرض لها.

قال بحزم: «ستدخلين الجامعة كطالبة بالغة، وستجدين نفسك كسمكة خارج المياه».

فضل أن يفكر بالأمور التي ستواجهها في الدراسة بدلاً من التفكير بها وهي محاطة بعدد من الشبان المغرمين. ردت آمي قائلة: «لن يكون الأمر أكثر خطورة مما كان عليه حين بدأت العمل في شركة لوسي للبناء».

تابعت وهي تضغط بنفسها على المقعد: «في مطلق الأحوال، هناك الكثير من الطلاب البالغين في معاهد التعليم».

- وماذا بشأن المال؟

- أي مال؟

- المال الذي سيساعدك على العيش لمدة أربع سنوات متواصلة من دون دخل. هذا من دون التحدث عن تكاليف التعليم الأساسية.

- إن لم تعد إلى كرسيك، سينتهي بك الأمر مصاباً بالزكام.

تجاهل روكو كلامها، وسألها: «كيف تفكرين في القيام بذلك؟».

قالت بسرعة: «أحتفظ ببعض المال جانباً، كما أنني سأحصل على مبلغ لا بأس به من الشركة».

زفر روكو بضيق، وابتعد نحو النافذة القريبة من مقعدها. هكذا سيتمكن من الاتكاء على إطار النافذة، فيما يستمر بالتحديق بها بعينين ضيقتين وهو يقول: «أربع سنوات هي مدة طويلة، وستمر عليك كالجحيم إن عشت على مبلغ محدود من المال».

استدارت آمي لتتمكن من النظر إليه وأجابت: «أنا فتاة مقتصدة وحذرة جداً. في مطلق الأحوال، ما قررت أن أفعله في حياتي أمر لا يعنيك مطلقاً».

علق بصوت عميق: «نظرياً أنت على حق. لكن أعتقد أن العناق الحميم الذي جرى بيننا يعطيني بعض الحق في إعطاء رأيي بالموضوع».

هذه المرة تورد وجه آمي من الخجل والارتباك، لكنها تمكنت من إبقاء نظرتها ثابتة عليه وهي تقول: «لا أريد التحدث عن هذا الأمر».

- حسناً!

ابتعد روكو عن النافذة وسار نحو باب غرفة النوم. توقف هناك ليقول لها: «لكنني سأقدم لك نصيحة على أي حال. إن عدت فعلاً إلى الدراسة، حاولي أن تتذكري أن تسعة وتسعين بالمئة من الشبان يتقربون من الفتيات لأجل أمر واحد فقط، ولا علاقة له مطلقاً بالحب».

كادت آمي تنفجر من الغضب، لكنها تمكنت من إخفاء غضبها. هذا كل ما يريده! إعطاؤها المزيد من الدروس لتتعلم كيف تعتني بنفسها. هل يرى أنها فتاة ساذجة لا تعرف كيف تتصرف مع الجنس الآخر، وهذا ما دفعه لإنقاذها من غلطة مصيرية؟ أيظنها فتاة ريفية بريئة انجذب إليها بسبب شعوره بالملل، فأراد أن يبرهن لها أن عناقه لها سوف ينقذها من حماقتها وجهلها عندما يتعلق الأمر بسام؟ ابتسمت آمي له بعذوبة وقالت: «ما يثير الانتباه في ذلك، أنه يترك واحداً بالمئة للحب. آه! من فضلك، أغلق الباب بعد خروجك».

٩- حفلة الوداع

نظرت آمي إلى انعكاس صورتها في المرآة، وألقت على نفسها محاضرة حازمة ومطولة: عليها أن تعمل جاهدة على تجنب روكو قدر المستطاع. يمكنها تحقيق هذا الطموح العسير إن تمكنت من القيام بدورها بشكل جيد، وتنقلت من مجموعة إلى أخرى وتبادلت الأحاديث مع الجميع. هذا ما أملاه عليها عقلها بمنطق وهدوء. مالت إلى الأمام لتنظر عن قرب إلى تبرجها. برأيها فإنها كست وجهها تماماً بالمساحيق حتى كادت تشبه المهرج، لكنها في الواقع وضعت ظلالاً من البودرة الشفافة، وقليلاً من البودرة الحمراء على خديها. واستعملت قلماً بني اللون لتضع مسحة منه تحت عينيها، ومررت أحمر الشفاه على شفتيها. أما شعرها فقد سرحته حتى لمع بشدة. ارتدت فستاناً ذا لون أخضر يميل إلى الزرقة، ينسدل على جسدها مظهراً رشاقته لينتهي عند ركبتيها. أما حذاؤها ذو الكعبين العاليين فقد أضفى أناقة وسحراً على مظهرها.

في الواقع، هذه الحفلة لم تكن في الحسبان. منذ أسبوعين، اقترحت على زملائها في العمل الذهاب إلى مطعم لتناول العشاء معاً كحفلة وداعية. ذهبت في حينها إلى روكو لتسأل إن كانت الشركة ستدفع لها تكاليف العشاء، فواجهها بعدد من الاعتراضات، وأقنعها بمكر أن من الأفضل إقامة حفلة موسعة لكل موظفي الشركة لا حفلة صغيرة لفريق عملها فقط. فتكون تلك الحفلة الكبيرة بمثابة شكر للمجهود الذي بذلته هي وفريقها طيلة تلك السنوات وترحيب بهم في مهماتهم الجديدة. تمتمت آمي حينها: «لكنني أريد وداعاً يخص فريق عملي فقط!».

وتحركت أمام مكتبه لتتفادى نظرة تينك العينين الرائعتين المركزتين عليها.

- عملك يهم أشخاصاً آخرين أيضاً بالإضافة إلى أفراد فريق عملك.

تراجع روكو إلى الوراء على مقعده الجلدي، ونظر إليها ببرودة وهو يتابع: «لا أظنك تفضلين فريق عملك على كل أولئك الآخرين».

وجدت آمي كلامه منطقياً، فهناك موظفون آخرون في الشركة معنيون بما تقوم به. منذ أسبوع واحد فقط... بل منذ خمسة أيام بالتحديد، غادر روكو منزلها بعد أن أخبرته عن رغبتها بالعودة إلى الدراسة، كما أن فريق عملها انتقل من ذلك المبنى المتداعي إلى المكتب الرئيسي وأصبح أفراده منهمكون في عملهم الجديد بشوق وحماس. أما روكو فلم يتواجد كثيراً في المكان، وفي كل مرة تصادفه يبدو كأنه في مزاج سيء. في الحقيقة، بدا في مزاج سيء وصعب في كل مناسبة استدعاها فيها إلى مكتبه ليسألها عن معلومات شعر أنه بحاجة إليها منها. مؤخراً، تعمدت آمي اللجوء إلى حمام السيدات كلما رأته يقترب من الممر المؤدي إلى مكتبه من خلال القسم المخصص لفريق عملها. لم ترغب في إطالة النقاش بينهما حول عشاء مصغر لها ولفريق عملها في مطعم هادئ، لذلك تم الحجز لكامل موظفي الشركة في أحد أفخر الفنادق في البلد وهو فندق قريب من ستراتفورد. وافقت آمي بسرعة من دون أي جدال، ولا حتى مجرد التفكير بالأمر.

أدركت الآن أنها خائفة من ذلك اللقاء. عند الساعة السادسة والنصف، وضعت وشاحها الحريري بحاشيته المطرزة على كتفيها، وصعدت إلى سيارة الأجرة التي حجزتها مسبقاً. حدقت بدون أي تفكير بالمناظر التي تمر بها، بينما راحت السيارة تسير عبر الطريق لتوصلها إلى موعدها. من الصعب عليها أن تصدق أنها بعد أسبوع واحد فقط سوف تغادر شركة لوسي للبناء. تلقت اتصالاً هاتفياً مشجعاً وداعماً من أنطونيو عندما أخبرته عما ستفعله في المستقبل، كما تلقت تشجيعاً من كل شخص تعرفه. لكنها في الواقع، بدلاً من أن تشعر بالحماس نحو العالم الجديد الذي

ينتظرها، تشعر بالفراغ والمرض، وهي تعلم السبب...

أمضت الأيام القليلة الماضية وهي تفكر بالأمر، ووصلت إلى تحديد واضح لما تشعر به. الأمر الوحيد الذي أدهشها هو أنها احتاجت إلى هذا الوقت الطويل لتصل إلى هذا الاستنتاج الواضح.

لم تكن فقط راضية عن التآخي والتصادق مع العدو كما قال لها سام ذات مرة، بل إنها أغرمت به. آه! أجل. عملت آمي جاهدة لإيجاد عشرات الأسباب التي تجعل قلبها يخفق بسرعة في كل مرة يتواجد فيها روكو بقربها، والتي تجعل جسدها ينبض بالحيوية في كل مرة تفكر به. فسرت الأمر بأن كل شخص لديه القدرة على تبديل حياة الآخرين لا بد أن يكون لديه مثل هذا التأثير. أما انجذابها إليه فلا بد أن سببه حيويته المفرطة ووسامته البالغة اللتين تجعلان كل امرأة تنجذب إلى رجل مثله. لكنها تعلم الآن أن عليها الاعتراف بالحقيقة المرعبة لنفسها: إنها مغرمة به من رأسها حتى قدميها... مغرمة بهذا الرجل الذي تجنب الارتباط كما يتجنب الناس الطاعون. لهذا لم تجد آمي أي سبب تستطيع التفكير فيه يجعلها تعمل بقربه، فهذا بدون شك سيقودها إلى الجنون.

وصلت إلى الفندق الريفي وما زالت أفكارها مضطربة ومشتتة. تنفست بعمق لمرات عدة وهي واقفة هناك محدقة بالمبنى الحجري الكبير الضخم ومدخله المحاط بأربعة أعمدة ضخمة. زارت هذا المكان من قبل مرات عدة، وما زالت متأثرة بجماله الإنكليزي المثالي. أثناء صعودها على الدرج الحجري المؤدي إلى المدخل شعرت بقلبها يقفز في صدرها كأنه عصفور في قفص. في الواقع، دقات قلبها المتسارعة منعتها من ملاحظة المحيط الرائع للفندق.

تبعت تعليمات الرجل المتوسط العمر الذي كان بانتظارها ليرحب بها. تناولت كوباً من العصير من الفتيات اللواتي يحملن صواني مليئة بمختلف أنواع عصير الفاكهة الطازجة، لأنها شعرت بحاجة لأن تمسك شيئاً ما بيديها، ثم دخلت إلى قاعة الاحتفال حيث تجمع موظفو الشركة جميعاً. كما

يحدث عادة في مثل تلك المناسبات، يبذل الجميع مجهوداً لكي يتحدثوا ويتسامروا حتى لو كان من النادر أن يلتقوا عادة. رأت آمي فريدي غارقاً في حديث مع ريتشارد نيوتن وزوجته باميلا، أما السكرتيرات وأزواجهن فقد شكلوا جماعات وراحوا يتحدثون ويضحكون بشأن أمور كثيرة، فيما يتجول بينهم عدد من النادلات والخدم وفي أيديهم صواني مليئة بمختلف أنواع الأطعمة الشهية والشراب.

كان الضجيج يملأ المكان، ومع ذلك قفزت من مكانها عندما لامس إصبع كتفها. استدارت لتجد أنها دي مرتدية فستاناً أبيض اللون كشعرها. بدت دي مختلفة جداً، حتى إن آمي ابتسمت وشعرت بالارتياح لأول مرة هذه الليلة. قرأت دي تعابير وجه آمي فابتسمت معلقة: «حسناً! لم أحضر حفلة في مكان كهذا من قبل، لذلك فكرت في أن أغير مظهري تماماً. أقصد... أنت تعلمين كيف أبدو دائماً، لكن الثياب المميزة لا تلبس إلى العمل، لاسيما حين نتذكر أين يقع مكتبنا... أو يجب أن أقول: أين كان مكتبنا».

- لم أفكر بحفلة وداع كهذه عندما تحدثت مع سموه. كل ما في الأمر أنني سألته إن كنت أستطيع دفع فاتورة عشاء لستة أشخاص من مال الشركة.

ابتسمت آمي وهي تركز بشكل كامل على دي كي لا تخاطر بالنظر حولها فترى الرجل الذي تحاول جاهدة أن تتجنبه. ضحكت دي ورمتها بنظرة ذات معنى قبل أن تقول: «سموه؟ تحمل هذه الكلمة سخرية واضحة نظراً لأنكما تتصرفان وكأن شيئاً ما يجري بينكما».

- شيء ما... بيننا؟

- لا أقصد علاقة عاطفية، لكن هناك تياراً ما بينكما. لاحظ الجميع ذلك لا سيما في الأسبوع الماضي.

أجبرت آمي نفسها على الضحك بصوت عالٍ، وأجابت: «ما ذنبي إن كان في مزاج نكد؟ يملك هذا الرجل معايير خاصة به وحده».

سألتها دي بفضول: «لماذا قررت الرحيل؟ قدم لنا جميعاً عرضاً رائعاً،

كما تعلمين».

- كما قلت سابقاً، لطالما أردت...

- أعرف ما قلته، لكن صدقاً... لماذا؟

بينما كانت آمي تحاول جاهدة أن تفكر بجواب مناسب، قوطعت بوصول مجموعة جديدة من الموظفين في تلك اللحظة، فغاب الاحساس بالاحراج من السؤال. احتاجت إلى مزيد من الوقت والكلام لتشعر بالارتياح الكافي لتنظر حولها. راودها إحساس بالفرح لرؤية هذه الوجوه المألوفة لديها مع زوجاتهم أو أزواجهن، وهؤلاء بدوا مختلفين جداً عن تصورها لهم. مارسي، أندي وتيم جميعهم أتوا مع أزواجهم، فانغمست آمي في الحديث معهم عن حياتهم المقبلة فيما سألوها بدورهم عما ترغب في القيام به في حياتها. لم ترَ روكو بعد، لكنها لم تحاول البحث عنه بل عملت جاهدة كي لا تجيل نظرها في كل أنحاء القاعة. عندما لمحته أخيراً كانوا يتجهون جميعاً نحو قاعة الطعام الكبيرة حيث وضعت أسماءهم على بطاقات على الطاولة التي سيجلسون إليها. لحسن الحظ أن اسمها ليس على طاولة روكو. إنه بعيد عنها لدرجة أنها لا تستطيع أن ترى كم يبدو وسيماً. سيطر روكو بحضوره على الطاولة الرئيسية، ليس ببساطة لأنه أطول من الآخرين بل لأن هناك شيئاً ما يظهر بقوة من خلال وقفته. وضع يده في جيب سرواله، ما جعل سترته السوداء تتجمع عند خصره. جالت عيناه الجميلتان باهتمام على الحضور، وما لبثتا أن التقتا بعينيها قبل أن تحظى بالوقت الكافي لتبعد نظرها. فجأة اختفت الأصوات القريبة منها، لتسمع همهمة بعيدة، وللحظات عدة لم تستطع آمي أن تتنفس. بعد ذلك تابع تجواله، ولم تلاحظ أي شيء في أعماق عينيه عندما نظر إليها. تظاهرت آمي بالانشغال بتناول المقبلات، إلا أنها لم تعد تستطيع التركيز على النقاش الدائر حولها فقد أصبحت متوترة بعد أن رأت روكو. لو لم تره لتابعت الاهتمام بما يحدث حولها في الوقت الراهن. كما توقعت تماماً، راحت عيناها تجولان في الغرفة بحثاً عنه وكرهت نفسها بسبب ضعفها هذا، إذ بدا

بوضوح أن عينيه لا تلتفتان نحوها مطلقاً. بالكاد لاحظت ما وضع أمامها من طعام وشراب إلى أن تم تبديل الأطباق بأطباق أخرى، بعد ذلك وُزعت أطباق الحلوى التي احتوت على عدد كبير من الأصناف. فكرت آمي أن هذا أمر جيد لأنها ستجد ما يلهيها عن النظر إلى روكو.

انتشلتها ضربة حادة من ملعقة على كوب زجاج من شرود فكرها وذلك بعد أن وضع فنجان القهوة أمامها، وأدركت أن روكو وقف. فكرت أن لا ضرورة ليجذب الانتباه إليه من جديد، إن كان ثمة رجل وُلد ليصبح قائداً فهو روكو. على الفور، هدأت الضجة التي كانت سائدة أثناء تناول الطعام والشراب خلال السهرة، فيما ظل روكو واقفاً، منتظراً حتى ساد الصمت التام. بدا تلقائياً وأنيقاً بشكل لا يوصف. انطلق في الكلام من دون أية مزحة أو اعتذار ليجذب انتباه كل شخص في القاعة.

نظرت آمي حولها وهي تفكر باستياء، أنه يستطيع بسهولة أن يعمل كمنوم مغنطيسي، فكل شخص على طاولتها راح ينظر إليه بعينين مسمرتين ويصغي إلى حديثه باهتمام. راودها إحساس بأنه لو طلب من أي شخص هنا أن يقفز كالارنب، فلا بد أنه سيفعل ذلك بدون أي تفكير. بالطبع، هو لم يفعل. بدلاً من ذلك، شكر بصوته العميق المؤثر الجميع على مساعدتهم التي لا تقدر بثمن أمام التغيرات الضرورية التي أجبر على القيام بها. أطلق أيضاً بعض المزحات قبل أن يتبدل الكلام ليصبح أكثر جدية، كما أتى على ذكر عدد من الموظفين بالأسماء، ماجعل آمي تدرك كم هو شديد الذكاء نظراً لأنه لم يعلم من قبل أنه سيستمر في إدارة الشركة، ومع ذلك عمل على الحصول على كل المعلومات التي قد تفيده كما يفعل الساحر بقبعته، فقد كان شديد الانتباه لكل الاشخاص الذين يعملون معه، وما زال يتذكر أسماءهم بدءاً من أصغر موظف حتى الأكثر أهمية.

أنهى كلامه بشرب نخب والده، الأمر الذي أدهش آمي، لأنه شكره على تأسيس شركة تحملت الكثير من الصعاب عبر السنين. فيما هي تشرب آخر رشفة من فنجان قهوتها سمعته يذكر اسمها، وفجأة استدارت الرؤوس

نحوها. وجه شكره لها شخصياً لتعاونها مع الشركة عبر السنين، معلناً للحشد كله أنها الموظفة الوحيدة في الشركة التي ستغادر والتي سيفتقدها الجميع بشدة بدون أي شك. تورد وجه آمي بقوة وابتسمت لأصدقائها الجالسين قربها.

- وكعربون تقدير...

آه، لا! علمت ما الذي سيحدث في تلك اللحظة، وشعرت بالخوف من كل لحظة ستمر بعد الآن. أخذت تصلي آملة ألا يطلب منها التوجه إليه لتقبل هدية لمغادرتها.

- ربما ستحب الآنسة هوغان أن تتقدم وتقبل هدية من كل فرد منا قبل رحيلها.

ارتفع صوت التصفيق والتهليل ما جعلها ترغب في الرحيل، لكن سرعان ما تم دفعها لتقف وتسير بقوة نحو روكو الذي انضمت إليه مارسي وهي تحمل هدية كبيرة، فيما وقفت كلارا وراءها وهي تحمل باقة من الزهور. علمت آمي أنه يراقبها، وعلمت أنها سترتكب غلطة كبرى إن رفعت نظرها إليه. إن فعلت فهي متأكدة أن ساقيها ستتوقفان عن الحركة على الفور وسوف تتعثر وتسقط على وجهها. همس روكو في أذنها ما إن مرت أمامه متجهة نحو مارسي: «تبدين في حالة سيئة جداً».

رفعت آمي ذقنها بكبرياء وتحدٍ، متجاهلة الملاحظة التي تفوه بها بنعومة.

السعادة التي شعرت بها عند تلقيها الهدية جعلتها تنسى حضوره ولو بشكل مؤقت. إنها لوحة ضخمة تمثل المشاريع التي عملت بها، بدءاً من مشروعها الأول حتى الأخير، وكلها موقعة من قبل كل موظفي الشركة. سمعت نفسها تتلعثم وهي تتفوه بالشكر للجميع، شعرت كأنها رابحة غير متوقعة لإحدى جوائز الأوسكار. ارتجف صوتها وهذا دفع الجميع للتصفيق، وقبل أن تنهار كلياً تولى روكو الحديث وأعلم الضيوف أن إلقاء الكلمات انتهى، وحان الوقت للمرح والبدء بالرقص. في تلك اللحظة،

خفتت الأضواء، وبدأ منسق الموسيقى بالعمل، مع أن آمي لم تلاحظ وجوده من قبل أبداً.

- لا أعتقد أنك تريدين التمسك بهذه اللوحة لما تبقى من السهرة.

تصلب جسم آمي بسبب تعابير وجه روكو الجدية.

- أفكر بأخذها إلى الخارج، فأطلب من موظف الاستقبال أن يحتفظ بها حتى مغادرتي. بالمناسبة، شكراً لك على تنظيم هذا الحفل.

راح قلبها يخفق بسرعة جنونية. أصبحت كل حواسها في يقظة كاملة، وغاب كل أثر للصداع والتعب، تماماً كما اختفى كل أثر للمرض في اللحظة التي دخل فيها إلى منزلها منذ أسبوعين.

- سأفعل ذلك بنفسي.

هذا كل ما قاله، ورفع اللوحة الضخمة من بين ذراعيها، وبدأ بالسير نحو المخرج. نظرت آمي حولها ولاحظت أن الجميع منشغلون بالرقص على أنغام الموسيقى أو بالتجمع للتحدث والضحك.

ثم نظرت باتجاه روكو وهو يسير بخطى واسعة نحو المخرج حاملاً لوحتها، فشعرت أنها بين خيارين، إما البحث عن وجوه مألوفة في هذا الضوء الخافت أو اللحاق بروكو، فاتخذت الخيار الأخير. على الرغم من حمله للوحة الثقيلة الوزن، وجدت نفسها مجبرة على السير بسرعة لتتمكن من اللحاق به، وهذا ما فعلته أثناء وضعه اللوحة لدى الحارس وإعطائه تعليمات للمحافظة عليها.

بعيداً عن جو العمل العادي حيث بإمكانها أن تضعه في خانة رئيس الشركة، شعرت آمي فجأة بوضعها الحالي، بمظهرها وجسدها الذي يبدو رشيقاً وخلاباً في هذا الثوب المميز.

- شكراً! إنها هدية رائعة كذكرى لعملي السابق.

ضحكت بتوتر فيما اتكأ روكو على المكتب الطويل الذي ابتعد عنه الحارس الذي حمل اللوحة وذهب ليضعها في مكان آمن. تمكنت آمي من النظر إلى عينيه وهو يبدو تقريباً على المستوى نفسه مثلها. لم يقم بأي محاولة

ليخفف من النقاش المتوتر الذي جرى بينهما في السابق، إنما راح ببساطة يحدق بها حتى شعرت كأن بشرتها تحترق.

- هل نستطيع العودة إلى الداخل؟ أعتقد أن الآخرين سيتساءلون عن غيابنا...

- إذاً، كيف تشعرين؟

للحظة مرعبة راودها شعور مخيف أنه يقرأ أفكارها، وأنه بطريقة ما علم ما تشعر به نحوه، وهو يطلب منها أن تفسر له الأمر. سألته آمي بضعف: «كيف أشعر... بأي شأن؟».

- بقيت عدة أيام فقط قبل مغادرتك للشركة.

- آه! صحيح. إحساس غريب... أعتقد أنني أشعر بالغرابة.

فجأة دفعها إحساسها بالراحة لتثرثر قائلة: «أمضيت فترة طويلة هناك حتى أصبحت أشعر كأن المكتب منزل ثانٍ لي، لكنني أظن أن مواجهة تحدٍ آخر أمر مثير للاهتمام أيضاً».

- أنت تعملين على تجنبي. لماذا؟

- لا أدري عما تتحدث.

دخل عدد من الأشخاص إلى القاعة الفسيحة المفتوحة، لكنهم بدوا منشغلين بالضحك والكلام فلم يلتفتوا نحوهما حتى التفاتة صغيرة.

- أعتقد حقاً أنه يجدر بنا العودة إلى الداخل.

- ليس قبل أن ننهي حديثنا. تعالي!

ابتعد عن المكتب، وقبل أن تتمكن آمي من استيعاب ما يحدث، وجدت نفسها مندفعة إلى الخارج عبر الدرج الحجري الملتوي لتصل إلى الحدائق المكشوفة.

- اسمع، روكو! سأنهي هذا النقاش، لكن هل نستطيع العودة إلى الداخل؟ أنا أشعر بالبرد.

الظلام والنجوم التي تملأ السماء كثيرة جداً عليها.

- ارتدي هذه.

نزع سترته ووضعها فوق كتفيها. للحظة كادت تستسلم للاغواء، فتغمض عينيها لتتنشق بعمق شذا عطره الناعم. وجدا مقعداً فجلسا عليه. من مكانهما هذا لم تعد آمي تسمع صدى الموسيقى في الداخل، أما الحدائق الممتدة أمامهما فبدت كبحيرة سوداء جامدة.

- تتصرفين كهرة على سطح من الصفيح الحار كلما رأيتني بقربك، وأريد أن أعرف السبب.

- آسفة، لم أدرك ذلك.

- لا تكذبي علي!

لم يستدر روكو لينظر إليها، بل جلس وقد مد ذراعه فوق ظهر المقعد بهدوء.

- حسناً! أشعر بالقلق والتوتر عندما أجد نفسي بقربك.

سألها بنعومة: «لماذا؟».

- غالباً ما يشعر الموظفون بالقلق بحضور رؤسائهم، لاسيما عندما يقدمون استقالاتهم. كما أنني أعلم أنك لا توافق على ما أفعله.

قال بنبرة حادة: «لم أقل إنني غير موافق على ما تفعلينه، بل شعرت أن من واجبي تحذيرك من العقبات والمخاطر».

- ألأنك تعتقد أنك قادر على السيطرة على الآخرين والتحكم بحياتهم؟

استدارت لتواجهه، لكن الظلام لم يسمح لها بسوى رؤية ظلال وملامح مألوفة لديها لكنها تنذر بالخطر، فتابعت بغضب: «كما أنك كنت في مزاج سيء جداً مؤخراً، ومن الأفضل تجنب الأشخاص وهم في مزاج سيء».

تحرك روكو بانزعاج على المقعد. قطب جبينه وهو ينظر إلى وجهها. أجل، كان في مزاج سيء. أقنع نفسه أن من الجيد أن تغادر المرأة الشركة لأنها تشتت أفكاره حتى وهي بعيدة عن ناظريه. في الواقع، إنها تشتت أفكاره منذ اليوم الأول الذي رآها فيه، وعدم التركيز والعمل لا يتوافقان. قال بهدوء: «كما تعلمين، علي القيام بالكثير من الأمور في الوقت الراهن،

كما أن التنقل بين لندن ونيويورك بشكل دائم ليس تجربة مريحة في حياة المرء».

رفعت آمي كتفيها، وعاودت التحديق إلى الأمام وهي تقول: «هذا لا يبرر ظهورك بمزاج سيء أمام الآخرين».

- لم أسمع أحداً يتذمر من ذلك غيرك.

- هذا لأن الجميع هنا يخافون منك.

نظرت إليه مباشرة هذه المرة، وارتجفت ما إن شعرت بمدى قربه منها.

- ما عداك!

بدت آمي كطفلة وهي تجلس قربه وسترته تغطيها. طفلة عبثت بخزانة البالغين، وقررت أن تجرب سترة أكبر من مقاسها بخمس مرات. ذكر روكو نفسه، لا! إنها ليست طفلة! وبالطبع هي ليست تلك البريئة الساذجة التي شعر بقوة جامحة لينقذها من قدرها، لأنها واجهته بشراسة عندما أخبرته أنها استغلت وجوده كعلاج مؤقت لانفصالها عن صديقها السابق. عاوده الضيق من جديد لمجرد التفكير بالأمر، ووجد نفسه يرفض بشدة نصيحة المنطق في رأسه بأن يدع الأمر على ما هو عليه، فيعودا إلى الداخل بأمان. قال بغضب: «انظري إلي عندما أتحدث معك».

- وإلا... ماذا ستفعل؟

على الفور مد روكو يده تحت ذقنها وأدارها نحوه، فشعرت بموجة من الحرارة تسيطر عليها. نظرت إليه، وكل عصب في جسمها يتوهج نشاطاً وقوة.

- هكذا أفضل!

- ما زلت أكثر رجل متكبر رأيته في حياتي. هل تعلم ذلك؟

- لكنني ما زلت أؤثر فيك بشكل واضح جداً.

- سأعود إلى الداخل. لأنني لا أريد متابعة هذا الحديث.

- لا! أنت لا تريدين ذلك.

أبعد يده عن وجهها لتحيط أصابعه برسغها، وشدها لتجلس من

جديد. والآن ها هي تجلس قريبة جداً منه لدرجة أن بإمكانه تنشق عطرها. سألها: «هل شعرت بالألم؟».

كره ضعفه وكره فكرة تماديه بهذا النقاش، وهو يعلم مسبقاً أنه يعرض نفسه للإصابة بجرح جديد لكبريائه كرجل.

- الألم... لماذا؟

- لأنني تصرفت بقسوة تجاهك.

شهيقها الناعم وصمتها المفاجئ أحدثا عاصفة من الفرح في أعماقه. شعر أنها تبحث عن وسيلة لتنكر اتهامه. حسناً! لن يسمح لها بالحصول على ما تريده. رمى جانباً كل ما يدعو إلى التصرف بتعالٍ ليداوي كبرياءه الجريح، فهو يتوق جداً إليها ويشعر برغبة لا تقاوم بمعانقتها.

- أنا... لا أفهم ما تقوله.

- هل افتقدتني واشتقت إلي؟

ضم وجهها بيديه وشعر باستجابة واضحة منها، ما أعطاه إحساساً بالرضى.

- وهل عليّ أن أفعل؟

- لقد اشتقت إلي.

أحست آمي بارتباك مزعج من سرعة رميه للافتراضات ودقة ملاحظته. في تلك اللحظة السريعة من الصمت قفز إلى استنتاج واضح وصحيح. تحركت آمي بسرعة محدثة ضجة، إذ لم تعد تدري كيف يمكنها التخلص من هذا الوضع، لاسيما أن عينيه تسمرانها على المقعد وتدفعانها إلى الانكماش على نفسها بسبب قوة نظراته. تلعثمت قائلة وهي تشعر بيأس كبير: «أنا... أنا....».

قال هامساً: «اشتقت إليك أنا أيضاً».

تفاجأ روكو مثلها تماماً من ذلك الاعتراف غير المتوقع.

- أنت لم تشتق إلي روكو، بل تفتقد إلى السيطرة لأنني حطمت تلك الأسطورة بأنك...

- توقفي عن الشجار!

مال إلى الأمام وعانقها، وفجأة أدرك بإحساس مفرط كم يتوق فعلاً إلى القيام بذلك.

لم يعد هناك مكان للاعتراض ما إن ضمها إليه. تأوهت آمي بنعومة وغابت معه في عناق طويل. أمسك روكو بطية سترته التي ترتديها وشدها إليه أكثر. قاومت آمي لتبعده عنها، محاولة أن تتمسك بقراراتها التي اتخذتها بصعوبة لتبتعد عن ذلك المنعطف الخطر. سمعت نفسها تتمتم بصوت مرتجف: «لا نستطيع... فالجميع في الداخل... لا بد أنهم يتساءلون أين نحن».

سمع روكو نبرة الاستسلام في كلماتها، فشعر بإحساس قوي من الفرح والرضى يسيطر عليه.

- أشك بذلك كثيراً. كل ما علينا فعله هو أن نتسلل هاربين من هنا.

- نتسلل؟

- كأننا مراهقان يتهربان من واجباتهما.

قبل أن يبدأ عقلها بالتفكير والتحليل وقف وأمسك بيدها ليجرها إلى موقف السيارات. أجلسها داخل سيارته، وقال بنبرة آمرة: «انتظريني هنا، سأذهب لأحضر لك هديتك».

- لا نستطيع. ماذا لو...؟

- الحياة قصيرة جداً ليقول المرء: ماذا لو.

أمضت أمس خمس عشرة دقيقة وهي تفكر بتلك الحكمة قبل أن ترى روكو يسير متجهاً نحوها، وهو يحمل اللوحة بين ذراعيه وباقة الزهور تتدلى من بين أصابعه. فتح صندوق السيارة، ووضع الهديتين في الداخل ثم جلس على مقعد السائق. وبدلاً من أن ينطلق بالسيارة، استدار لينظر إليها. سألها بصوت كالهمس: «سنذهب إلى مكان نجلس فيه بمفردنا، حيث لا يزعجنا أحد. موافقة؟»

قالت آمي بصدق: «أنا... لست متأكدة».

أدار روكو رأسه ونظر من النافذة، فوضعت يدها الصغيرة فوق رسغه.

- أنا لست متأكدة لأنني لا أريد أن ينتهي بي الأمر متألمة. أنا أعلم أن الألم جزء من هذه الحياة، لكنك على حق. الحياة قصيرة جداً ليقلق الانسان بشأن الأحداث والظروف.

فكرت بحزن في سرها أن الحياة قصيرة جداً، وعليها أن تتحمل الشهور الخالية من كل سعادة والتي ستمتد أمامها ما إن يبتعد روكو عن حياتها. إن لم تقم بالمجازفة الآن سوف تتساءل طيلة عمرها عما كان يمكن أن يحدث لو أنها رمت بحذرها وقلقها جانباً.

- لماذا تفترضين أن الأمر سينتهي بك إلى الألم والحزن؟

- لأنك من ذلك النوع من الشبان روكو. النوع الذي يسبب الألم والحزن للمرأة.

شعر روكو بطعنة في أعماقه، لكنه لم يتمكن من إنكار تلك الحقيقة.

- إذاً، هل ننطلق أم لا؟

- لننطلق.

لم تعلم إلى أين سيذهبان، لكنها لم تتفاجأ بعد مرور عشرين دقيقة من الصمت بينهما، عندما أوقف سيارته أمام المنزل الذي زارته مراراً من قبل عندما كان أنطونيو يعيش فيه. خرجت من السيارة وتبعته. فتح روكو الباب الأمامي للمنزل فسارت وراءه إلى داخل القاعة المظلمة التي أمتلأت بالنور ما إن أدار مفتاح النور. قال روكو وهو يستدير لينظر إليها: «سأحضر لك القهوة».

إنه يرغب في معانقتها بشكل مؤلم لكنه يعلم أن آخر أمر يجب القيام به هو التسرع. هو يعلم أنها لن تمانع. لكن ليس هذا ما يريده، لا يريد لحظات من متعة زائلة. مجرد التفكير بذلك يبدو الآن مزعجاً بل أمراً كريهاً.

هزت آمي رأسها، ولكي تتحدث معه بموضوع ما، سألته عن والده. قال روكو من دون أن يستدير: «تحدثت إليه. طال الحديث بيننا وتنوع

www.elromancia.com

لأول مرة، بدلاً من ذلك الحديث المهذب الذي كنا نتبادله من قبل. اجلسي! لن أقول لك تصرفي وكأنك في منزلك، فأنا أعلم أنك تعرفين هذا المنزل جيداً، فأنت زرته من قبل».

فكرت آمي، بالطبع فعلت لكنك لم تكن هنا. شعرت بالتوتر والقلق لمجرد التفكير أن روكو ينام في الطابق العلوي.

- اتصلت به منذ يومين لأتحدث معه عن شؤون الشركة وأسأله النصيحة بشأن بعض المواضيع، فذكرت له أمر الأوراق والصور.

- أفعلت ذلك؟

ابتسمت آمي بحرارة في اللحظة التي استدار فيها لينظر إليها. أجاب روكو باستياء: «أجل، فعلت. أعتقد أننا بدأنا بالتطرق إلى مشاكلنا الشخصية التي باعدتنا عن بعضنا طوال هذه السنين».

- لا بد أنكما ستتفقان أخيراً.

اتسعت ابتسامتها من الفرح، فنظر روكو إليها مستغرباً.

- ستصبحين مدرّسة رائعة.

في السابق كانت تشعر بالحيرة من التبدل المفاجئ للحديث بينهما. أما الآن، فهي تسير مع التيار، وتشعر بالارتياح لأول مرة في هذه الأمسية. ها هي تستمتع بالاطمئنان والرضى برفقة روكو حين يبدو مرتاحاً سعيداً وساحراً.

- مع أنني سأبدو هرمة بالمقارنة مع الآخرين، ولن يكون لدي المال الكافي لأستمر.

- صحيح! أخشى أن أقول لك إنك ستبدين هرمة بالمقارنة مع زملائك...

ابتسم روكو لمجرد التفكير بالأمر، قبل أن يتابع: «... أما بالنسبة إلى المال... حسناً! لن أسمح لك مطلقاً بالرحيل من دون...».

- عفواً؟

فكر بارتباك، من أين أتى هذا الكلام الآن؟ لكنه قال: «من الطبيعي

أن أفعل ما كان سيفعله والدي، وأن أتأكد أنك بخير ومدعومة من الناحية المادية قدر الإمكان».

- هل رآك أحدهم وأنت تغادر؟

إن كان روكو يستطيع تبديل الموضوع كلما أراد ذلك، معتمداً بذلك على رغبته في تجنب نقاش ما، يمكنها أن تفعل مثله. والآن هي تريد تجنب أي نقاش يحاول فيه القيام بدور الملاك الحارس.

أجاب روكو بوجه جامد: «بل عدد كبير من الناس».

جلس إلى طاولة المطبخ مواجهاً لها، ثم جذب كرسياً آخر استعمله كمسند للقدمين وتابع قائلاً: «قلت لهم إنني سأحضرك إلى منزلي لكي أعانقك وأغازلك طيلة الأمسية».

- لا! لم تفعل.

- لا! بالطبع لم أفعل. لم يكن هناك سوى عدد قليل من الناس في القاعة الخارجية، وجميعهم منشغلون بالأحاديث فلم يلاحظوا وجودي. لذلك تسللت كاللص في الليل وأنا أحمل لوحتك وباقة الزهور.

صور لها الأمر بمنتهى الرومنسية، فبدا كبطل أسطوري. شعرت آمي فجأة بالحماس والقلق بسبب وجودهما معاً بمفردهما في منزله. فكرت أن لا مجال مطلقاً للتراجع، فها هي هنا الآن. مهما كان الحديث الذي سيتبادلانه ومهما طالت اللحظات السعيدة لهما معاً، لا بد في النهاية من تذوق الألم، فروكو من نوع الرجال الذين لا يؤمنون بالحب ولا يفكرون بالاستقرار مع امرأة واحدة.

١٠ - لا تلمني!

ما الذي أصابه؟ لماذا تراوده مشاعر غريبة لم يعهدها في نفسه من قبل؟ لماذا يشعر بعاطفة غامرة تجعله يرغب بحماية هذه المرأة حتى من نفسه؟ ما باله لا يغرقها في عناق يذيب عظامها؟ أليس هو من اقترح عليها القدوم معه في البداية؟ شغلت آمي فكره ليلاً نهاراً، فألهته عن عمله وجعلته يشعر بالقلق، فيما لديه آلاف الأمور الأخرى التي يتوجب عليه التفكير بها. أخيراً توصل روكو إلى استنتاج مفاده أنه إن تمكن من مغازلتها ومعانقتها سيتخلص من تأثيرها الصامت عليه مرة وإلى الأبد. وها هي الآن، تنظر إليه بعينين كبيرتين قلقتين، لكنه فجأة أصبح متردداً يشعر بارتباك وقلق.

نهضت آمي ومدت يدها النحيلة نحوه قائلة: «ألن نذهب إلى غرفة الجلوس؟ المقاعد هناك مريحة أكثر».

- اعتقدت أنك تريدين المزيد من القهوة.

- لا! شكراً لك.

أصبحت آمي تشعر بعدم الارتياح الآن. هل عليها أن تجلس من جديد؟ فهو لم يتحرك، في النهاية. لمعت برأسها فجأة فكرة أنه ربما لم يعد يرغب برفقتها بعد أن قبلت عرضه بالمجيء إلى هنا بسهولة.

فكر روكو أنه معتاد على معرفة ما يريده بالتحديد وإلى أين سيصل، لكن الارتباك الذي يشعر به الآن ملأه غضباً. غضب من نفسه ومنها، ومن عدم معرفته لماذا لا تسير الأمور كما تسير عادة. حباً بالله! يجب أن يتودد إليها ويغازلها بدلاً من جلوسه هنا كالأبله.

- فنجان من القهوة... أهذا كل ما تريدينه؟

أصبح لون وجهها أحمر قانياً من شدة الاحراج، فجلست كالمنهارة على كرسيها.

- ما معنى ذلك روكو؟

- أنا من طرح عليك سؤالاً.

- وأنا لن أجيب عنه! أعلم الآن أنني أخطأت بمجيئي إلى هنا.

- لا تتهميني بأنني ضغطت عليك، فقد سألتك إن كنت ترغبين بالمجيء!

- لم أظن... أن لديك مشكلة بذلك.

وروكو أيضاً لم يفكر بذلك. كل ما في الأمر أنه يشعر بعدم الارتياح، والحدث السابق الذي أشعل غضبه عندما أعلمته أنه كان مجرد وسيلة لتتخطى أزمتها، عاد إليه الآن بقوة أكبر. رأى الاستغراب على وجهها وهذا ما ضاعف غضبه.

- ما هي مشكلتي؟

وقف وبدأ يسير في المطبخ، ويدور في الممر الرئيسي كأنه حيوان مفترس محتجز في قفص. إنه بحاجة إلى التخلص من هذه الطاقة المدمرة. كما أنه لا يريد أن يرى وجهها. فهو لا يفهم مطلقاً ما هي مشكلته، وهذا ما يزيد من غضبه.

- سأتصل بسيارة أجرة.

أخرجت آمي هاتفها النقال من حقيبتها بيدين مرتجفتين، وطلبت رقم شركة سيارات الأجرة التي تستعين بها بشكل دائم. أبقت نظرها عليه وهي تجري الاتصال متسائلة كيف ستمضي بقية الوقت حتى وصول السيارة. فكرت أنه على الأرجح لم يدرك أنها اتصلت بسيارة أجرة.

- كيف تجرؤين وتسألينني ما هي مشكلتي؟ في المرة الأولى التي بادلتني العناق فيها كنت بحاجة لتنسي صديقك، والآن ها أنت هنا في منزلي مستعدة لتقبل مغازلتي وعناقي من دون أي حجة.

أدارت آمي رأسها نحوه كالمصعوقة. بالطبع سيحاول الآن التصرف

بمنتهى التكبر والعجرفة. هل يعتقد أنها فتاة مستهترة؟ لا بد أن هذه أسخف فكرة ممكنة. لو لم تكن الآن في هذه الظروف المربكة، لانفجرت ضاحكة بأعلى صوتها. قالت بحزم وقسوة: «ما من داع لنصرخ بوجهي بعضنا البعض. فهمت الأمر بطريقة خاطئة، واعتقدت أن هذا الانجذاب بيننا متبادل. والآن أدرك أن السبب الوحيد الذي دعاك لإحضاري إلى هنا هو أنك ترغب في الانتقام لكبريائك الجريحة!»

- ربما أنت على حق!

لا! لن تبكي، ولن تسمح حتى لشفتها بأن ترتجف. ستتحمل هذا العذاب وتغادر هذا المنزل بشكل نهائي. وسيكون هذا درساً قيماً لها كي لا تتورط عاطفياً بعد اليوم.

توقف روكو عن السير، ووقف قرب طاولة إعداد الطعام. تجهم وجهه وهو ينظر إليها ممرراً أصابعه الطويلة في شعره. قال بصوت غاضب: «هل يمكنك إلقاء اللوم علي؟».

شعر أن صمتها بدأ يثير غضبه، فيما رفعت آمي كتفيها ونظرت إليه باستياء وهو يتقدم نحوها.

- ماذا تعنين...

رفع كتفيه كما فعلت، وتابع: «... بهذه؟».

سحب كرسياً ليجلس قبالتها تماماً. مال إلى الأمام واضعاً مرفقيه على ركبتيه، فبدا كأنما لا ينقصه سوى ضوء قوي فوق كرسيها، ليتحول الأمر إلى استنطاق فعلي.

- لا أستطيع التصديق أنك أحضرتني إلى هنا لتتهمني بأمور كثيرة.

احمر وجه روكو من شدة الانفعال.

- أعتقد أنك ستقول لي الآن كم أنا غبية لمجرد التفكير بتبديل عملي، مع أنك منذ دقيقة أو أكثر قلت لي إنني سأصبح مدرّسة جيدة.

شعرت بعينيها تمتلآن بالدموع بسبب الاحساس بالشفقة على نفسها وبالمرارة الناتجة عن خيبة الأمل التي تعيشها، فأخفضت بصرها بسرعة.

- أعتذر منك.

- لماذا؟

رفعت رأسها إليه وقد لمعت عيناها من شدة الغضب وهي تتابع: «أنت تتصرف بصدق، في النهاية. أنا أبديت ملاحظة غبية، وها أنت تجعلني أدفع ثمن ذلك».

التقت نظراتهما، واحتاجت آمي إلى بذل مجهود قوي كي لا تبعد نظرها عنه. تابعت قائلة: «لكن لا داعي لأن تقلق. طلبت سيارة أجرة، وستصل في أي لحظة. وما إن أغادر هذا المنزل حتى أصبح خارج حياتك إلى الأبد! كما أنني لن أذهب إلى العمل في الأسبوع القادم. سلمت كل شيء قبل الآن، وفي مطلق الأحوال، فريقي قادر على استلام كل المهام أثناء غيابي».

في تلك اللحظة، سُمع رنين الجرس بقوة، فأبعد روكو كرسيه إلى الوراء تاركاً إياها تطير حتى تصطدم بجانب الطاولة المقابلة. أمسكت آمي حقيبة يدها وسارت بسرعة وراءه لتجد أنه يأمر سائق سيارة الأجرة بالمغادرة على الفور. سحب محفظته، فأمسكت بيده بقوة: «ماذا تعتقد أنك فاعل؟».

- هل أنت السيدة التي طلبت سيارة أجرة؟

من الواضح أن سائق السيارة يفكر ملياً بجدوى قدومه إلى هذا المكان.

قال روكو: «إنني أدفع للرجل أجره مقابل الوقت الذي أنفقه للقدوم إلى هنا».

قدم للسائق عدداً من الأوراق النقدية من دون أن يزعج نفسه بعدّها.

- نعم. أنا الآنسة هوغان.

امتدت ذراع من الفولاذ لتمنع خروجها.

- هل أنت قادمة أم لا، سيدتي؟

بعد أن تسلم مبلغاً من المال يفوق كثيراً ما توقعه مع إمكانية أنه لن يوصل أحداً مقابل المال، بدت على ملامح السائق الرغبة في المغادرة بسرعة قصوى، فيما رد روكو قائلاً: «السيدة لن تغادر».

اعتذرت آمي من بين أسنانها المصطكة: «آسفة!».

انتظرت حتى سمعت صوت إغلاق الباب الأمامي، ثم استدارت لتواجه روكو وهي تضع يديها على وركيها.

- شكراً لك! إلى متى ترغب في احتجازي كسجينة هنا؟

لم يعجبه ما يجري، لكن آمي لم تعد تهتم لذلك. فكرت بالفتاة التي أتت إلى هذا المنزل بحماس كما لو أنها فتاة أخرى غيرها... مخلوقة ساذجة تحطم قلبها لكنها لا تبذل أي مجهود لتحمي نفسها من المزيد من الألم.

- أعتقد أننا بحاجة إلى شرب عصير ما.

هذا كل ما قاله روكو وهو يسير نحو المطبخ، بينما أخذت آمي تتحرك بغضب عقيم قرب الباب، وقد شبكت ذراعيها فوق صدرها. سكب لنفسه كوباً من العصير وقدم لها واحداً، فهزت رأسها رافضة الشراب، لأنها بالكاد تستطيع أن تثق بنفسها لترد عليه. قلدها برفع كتفيه بلا اهتمام، ومرّ أمامها متجهاً نحو غرفة الجلوس متوقعاً منها أن تتبعه، وهذا ما فعلته بالتحديد. حاولت آمي جاهدة أن تحافظ على هدوئها. بدأت بالقول: «لا يحق لك أن تلغي طلب سيارة الأجرة وتصرف السائق».

- لم ننهِ حديثنا بعد.

- لكنني فعلت.

- اجلسي! تبدين كأنك تحاولين الهرب وأنت واقفة هكذا قرب الباب.

- لو أن هناك مكاناً لأهرب إليه لفعلت ذلك!

تنهدت بانزعاج، وجلست على أحد المقاعد منتظرة أن يتحدث. ادعى أنه يريد الكلام، إذاً كل ما عليها القيام به هو أن تجلس وتدعه يطلق ما لديه من كلام سيء نحوها.

- لم أحضرك إلى هنا لأتمكن من صب غضبي عليك.

قال روكو ذلك فجأة، ونظر بعينيه الرائعتين نحوها وهو يتابع: «عندما غادرنا الحفلة، كنت أحلم بتمضية أمسية مميزة في حياتي».

همست آمي: «وماذا حدث بعد ذلك؟».

أصغت باهتمام لتتمكن من سماعه. لم يزعج روكو نفسه بإنارة الغرفة،

لذلك فإن الضوء الوحيد في غرفة الجلوس هو ذاك الذي سطع من خلال الباب المفتوح الذي يطل على القاعة الحجرية الأمامية.

- بعد ذلك... إنه سؤال جيد.

وقف وبدأ بالسير في الغرفة، ولم يتوقف إلا عندما وصل أمام المدفأة ليضع الكوب على الرف فوقها. قال: «بدا لي أنها ليست فكرة جيدة».

- لأنك حققت ما تصبو إليه بإحضاري إلى هنا، ثم أدركت أنني لست من النوع المفضل لديك؟ أليس هذا هو السبب؟

ما قالته بدا موجهاً في الواقع إليها نفسها لا إليه. تابعت قائلة: «كنت أثير اهتمامك لأنني بدوت كتحدٍ لك. وعندما بدا الأمر منافسة بالنسبة لك، وبعد أن تقربت مني بسبب قرارك الحكيم بأنني أستحق المساعدة، انتهى الأمر. هل أقول الحقيقة هنا، روكو؟ أعتقد أنني لو لم أسبب صدمة لكبريائك، لتركت الأمور على ما هي عليه. لكنك أردت أن تنتقم مني، وأن تتأكد أنك أنت المسيطر على كل شيء حولك، وهكذا تبرهن لنفسك أن انجذابي نحوك ليس أمراً ظاهرياً فقط».

مع هذا كله لم تتفوه آمي بالأمور الأكثر أهمية: مشاعرها نحوه، دوافعها، والأشياء التي حاولت جاهدة أن تقاومها، وإحساسها أن ما تشعر به هو أكبر وأقوى من كل الدفاعات التي تستطيع أن تبنيها.

الآن جاء دورها لتغضب، بينما وقف روكو قرب المدفأة بصمت كامل. ذلك الصمت المطبق يعلمها بموافقته على كل كلمة قالتها. شعرت بموجة جديدة من الاحراج تسيطر عليها. في نهاية الأمر قال روكو بصوت منخفض لدرجة أن آمي لم تتأكد أنها سمعته فعلاً: «لوافقتك الرأي على كل كلمة قلتها لو أنني أستطيع».

- لم أسمعك جيداً.

قال بصوت أعلى وبنبرة عدائية كأنه يتهمها: «قلت: لا شيء أحب إلي من موافقتك على كل ما قلته لو أنني أستطيع».

هز رأسه كأنه يحاول أن يوضح الصورة في أفكاره قبل أن يحدق بها

ويتابع: «لو أنني خططت لكل ذلك بالطريقة التي تتحدثين عنها، لتمكنت من القول على الأقل إنني المسيطر على الوضع».

- أنا لا أعلم ما الذي تحاول قوله.

اتسعت عينا آمي وهي تحاول أن تحلل معنى ما قاله، لكن بدا لها كأنها تحاول حل شيفرة سرية.

- أنت السبب في ما حدث.

رماها روكو بهذه الكلمات وسار نحوها، ثم سحب مسنداً للقدمين وجلس عليه. وهكذا أصبح قربها لكن في مستوى أكثر انخفاضاً، بعدئذٍ رفع نظره إليها، إلا أن ذلك لم يهدئ من شدة توترها.

- توقعت أن تلومني على كل ما يحدث لك.

- كنت سعيداً وأملك السيطرة الكاملة على كل نواحي حياتي، حتى دخلت إليها.

- هذا تماماً ما يمكنك قوله بالنسبة لي أيضاً.

انفجرت به آمي من دون أن تفكر، فنظر إليها روكو باهتمام واضح، كأنه يبحث في وجهها عن خفايا كلامها. تراجعت برعب بسرعة فائقة: «أقصد... كنا سعداء. فريق صغير يقوم بعمل يحبه. ثم أتيت أنت وبعثرت كل شيء إلى شظايا وأجزاء».

- كل شخص بحاجة إلى إعادة تنظيم حياته بين فترة وأخرى.

سألت آمي بصوت نزق: «وإلا ماذا؟ هل سينفجر من شدة الرضى والقناعة؟».

- ماذا عن سام؟ أتقولين إنك كنت راضية بتلك العلاقة؟

- لا! إن أردت الحقيقة، لم تكن لتقودنا إلى أي مكان. لكن هذا لا يعني أن لديك الحق في التدخل بالأمر.

- لم يكن لدي الخيار.

أخفض روكو بصره، وعقد أصابعه وراء رقبته. فكرت آمي بحزن ومرارة، ليس من العدل أن يتهجم عليها لدرجة تجعل دموعها تنهمر وهو

لا يزال يستمتع بوقته.

- هل كان هناك من يشهر مسدساً نحو رأسك؟

- أنا لم...

ساد صمت مقلق بينما راح يبحث عن كلمات تعبر عما يجول في فكره، فوجدت آمي نفسها تتخبط في منطقة مجهولة. ما الذي يحاول قوله؟ مهما كان ذلك، يبدو أنه لا يشعر بالارتياح لقوله، نظراً إلى تصلب كتفيه وإلى النظرة الحذرة التي يرمقها بها الآن.

- لم أعانقك لأبرهن لك أمراً ما. تركتك تعتقدين ذلك... وربما أقنعت نفسي بذلك أيضاً. عانقتك لأنني شعرت بالانجذاب نحوك.

ما إن انتهى من تصريحه هذا، حتى أصيبت آمي بدهشة كبرى كافية لتجعلها تفتح فمها كالمصعوقة. ضحك روكو ضحكة جافة قصيرة خالية من أي مرح، فيما همست آمي: «لماذا لم تقل ذلك؟».

- لأنني لم أستعمل كلمة انجذاب قط من قبل إلا عندما يتعلق الأمر بالعمل. لم أعش تجربة مماثلة من قبل.

سيطرت عليها موجة أخرى من الأمل، كأنها شخص يغرق أثناء عاصفة هوجاء، ووجد فجأة قطعة من الخشب، لكنه رفض التعلق بها.

- لا يمكنك أن تتصوري شعوري عندما قلت لي إنني لست سوى شخص قابلته في الوقت المناسب لينسيك الحزن على حبيبك السابق.

قالت مؤكدة وقد شدت يديها في قبضتين على جنبيها: «لم يكن سام يوماً حبيبي. إنه غلطة في حياتي. وقد رميتك بتلك الكلمات بسبب كلام قلته لي».

لمعت عينا روكو ونظر إليها بقوة، كأنه يريد اختراق ذهنها ليعرف ما الذي تفكر به. قالت بتلعثم: «لم أقل مطلقاً إنني لا أشعر بالانجذاب نحوك، واعتقدت أننا هنا لهذا السبب».

- إنه السبب لوجودنا هنا، لكنني لست متأكداً.

- حسناً!

- لا! بدون أي شك الأمر ليس حسناً على الإطلاق.

النبرة الحادة في صوته دفعتها لترفع رأسها وتنظر إليه مستغربة.

- قد يكون الأمر مناسباً بالنسبة لك، كعلاقة عابرة وخطوة أولى للابتعاد عن الشرنقة التي كنت تعيشين فيها قبل أن تنطلقي في ذلك العالم الكبير الشرير في الخارج!

- ما الذي تتحدث عنه؟

- أنت تعرفين جيداً ما الذي أتحدث عنه! انظري إلى نفسك! كفوءة ومؤهلة كأي امرأة أعمال قابلتها في حياتي، ولماذا أنت كذلك؟

لم يعطها الفرصة كي تجيب متجاهلاً أي جواب محتمل. وقبل أن تجد الوقت الكافي لتلفظ كلمة واحدة، تابع: «لأنك أعطيت كل ما لديك لعملك. في السادسة عشرة من عمرك أصبح العمل ملاذاً لك، وصممت على تسلق كل درجة في سلم نجاحك وأنت تفكرين فقط بما يتطلبه منك العمل. صرفت كل ما لديك من طاقة في عملك، ولم تفكري أبداً بالرجال كفرصة للتسلية أو المرح. والآن، أنت تحاولين مواجهة العالم الجديد راغبة في التمتع بكل ما تقدمه لك الحياة، وأنا لا أرغب في أن أكون الخطوة الأولى في حياتك تلك».

تساءلت آمي بانبهار إن كانا يتحدثان عن المرأة نفسها. هو لا يريد أن يكون الخطوة الأولى في حياتها الجديدة؟! وكأنها تحولت فجأة إلى فتاة مستهترة تلاحق الرجال الأبرياء! فتحت فمها لتوضح له مدى خطئه، لكن روكو بدا في عجلة من أمره ليوضح ما يقوله.

- لم أظن يوماً أنني سأسمع نفسي أقول مثل هذا الكلام، لكن...

توقف عن الكلام، ورماها بنظرة تظهر ما يحمله في قلبه من مشاعر نحوها.

- لكن...؟

مالت آمي نحوه وراح قلبها يدق بسرعة، وهي خائفة من التعرض لمزيد من خيبة الأمل، لكنها لم تعد قادرة على السيطرة على فيضان الأمل الذي

تملكها. قالت لكي تسبقه في قول أي شيء قد يصل إلى ذلك الموضوع: «أنا لا أفكر في الارتباط».

اعترف روكو بصدق: «وهذه هي مشكلتي. لم لا؟».

- أنت قلت...

- أعلم ما قلته. وكنت أقصد كل كلمة قلتها، لكن معرفتك بصورة عابرة ليست كافية بالنسبة لي. أريد روابط فعلية بيننا. في الواقع، أريد الكثير من الروابط، أريد روابط تربطك بي بشكل مطلق.

- أنت تريد روابط بيننا... وبشكل مطلق؟

ظهرت ابتسامة كبيرة على وجهها أشبه بالشمس التي تظهر من وراء كتلة من الغيوم.

- أتجدين ذلك مسلياً؟

- أجد ذلك...

مدت يدها ولامست جانب وجهه وهي ترتجف، وعندما أمسك بيدها وأبقاها على وجهه بقوة شعرت بارتعاشة تسري في جسمها بأكمله. تابعت تقول: «... أجد ذلك رائعاً ومقنعاً جداً».

- لماذا؟

أجابت آمي ببساطة: «لأنني أحبك. في البداية، أردت فقط الابتعاد عنك لأنني علمت أنني لا أستطيع أن أحبك وأبقى بقربك من دون أن أصاب بالأذى، فأنت لا تبحث عن علاقة دائمة. أما الليلة، فلم أهتم بشأن حماية نفسي. كنت أفكر بك فقط».

ضحك روكو ضحكة صغيرة وطبع قبلة على أصابعها، ثم رفع نظره ليحدق بها من تحت رموشه السوداء الطويلة. أخيراً جذبها نحوه وقال: «بالطبع تحبينني!».

سقطا على السجادة وغرقا معاً في الضحك. استدارت آمي لتتمكن من النظر إليه، فقال: «حتى عندما كنت تخرجين برفقة ذلك الرجل، أراهن أنك كنت تفكرين بي وحدي».

- وكيف لك أن تعلم ذلك؟

ضمها إليه وقال: «لم أعلم، لكنني أملت بذلك حبيبتي. أملت بذلك وأردته بشدة، بدا من المستحيل علي أن أصدق أنك تستطيعين النظر إلى أي شخص آخر، بينما أنت تملكين السيطرة على قلبي».

عانقها بنعومة وتمتم بحرارة في أذنها: «أتعلمين؟ عليك الزواج بي. أليس كذلك؟»

- أعليَّ ذلك؟

- لا خيار أمامك، على ما أخشى.

- في هذه الحالة... سأكون حمقاء إن جادلتك. أليس كذلك؟

* * *

نظر أنطونيو إلى ابنه والمرأة التي كانت بمثابة ابنته لسنوات عدة، وراوده إحساس لا يوصف من السعادة والرضى. في معظم أحلامه السرية، لم يجرؤ يوماً على التفكير بصلح حقيقي مع ابنه. تحمل ندمه الخاص، وتقبل المسافة بينهما باستسلام حري برجل عجوز تخلى عن توقع المعجزات. لكن الصلح حدث فعلاً. في الواقع، أمضى أنطونيو الأسبوع الماضي مع ابنه وزوجته وكانت تلك أسعد أيام حياته، حيث حاول التعويض عن الكثير من الأمور التي فاتته. أدرك أنه فقد الكثير بسبب جهله وكبريائه، فالصلة التي كان عليه أن يصوغها ويتمسك بها مع ابنه الوحيد ضاعت بسبب يأسه وحزنه، فقد تعمد إبعاد ابنه عنه وأخذ يراقبه إلى أن أصبح رجلاً. توفيت سيرينا، لكن لم يكن روكو سبب موتها. أخيراً وجد الشجاعة ليخبره بذلك، وليخبره كيف أن كبرياءه المقيتة دفعته إلى بناء حواجز بينهما وأن السنوات عملت على تقويتها. آمي هي من غيرته! هذا ما فكر به الآن وهو يراقبهما يسيران نحوه بعد تجولهما على الشاطئ الخاص وقد شبكا أصابعهما معاً، فيما لغة جسديهما تملأ كتباً. من الواضح أن روكو يشعر بالارتياح وهو دائم الابتسام، وعندما ينظر إليها يظهر حب في عينيه يجعل أنطونيو يرغب لو أنه يستطيع أن يمسك بشيء منه ويحتفظ به في زجاجة ما.

لوح لهما ما إن اقتربا أكثر. ابتسمت آمي له وضمته إليها وهي تقول: «ليتك ذهبت للسير معنا أنطونيو. المكان رائع هنا».

نظر روكو إلى والده وابتسم معلقاً: «يستطيع المرء نسيان أسباب العمل في مكان كهذا».

أجاب أنطونيو: «بالطبع! لا سيما إن حظي برفقة طيبة».

بعد أسبوع واحد سيغادران. ولا شك أنه سيفتقدهما كثيراً. تابع قائلاً: «وبالطبع أي شخص إضافي سيشكل متعة إضافية أيضاً».

سألت آمي ببراءة: «هل تعني صديقاً ما؟».

تبادل أنطونيو مع ابنه نظرات معبرة، لكنه لم يقل شيئاً. ضحك روكو، ثم شدها إليه وطبع قبلة على رأسها، بعدئذٍ تنشق رائحة الشمس والنسائم العليلة، ثم قال: «شخص من سلالة العائلة، لكن أصغر سناً بالطبع».

تمتمت آمي بنعومة: «حسناً! علينا أن نعمل على ذلك».

ولمعت عيناها بالسعادة من كل حلم وأمنية فكرت بهما يوماً وأصبحا حقيقة أمامها الآن.